سعاد محمد الصباح

أستراحة الخميس

دار سعاد الصباح
للثقافة والإبداع

الناشر:

دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع

ص.ب: 27280 - الصفاة

الرمز البريدي: 13133

الترقيم الدولي

I.S.B.N: 978-99906-2-159-4

لوحة الغلاف بريشة د. سعاد الصباح

سعاد محمد الصباح

أستراحة الخميس

الطبعة الأولى
2024

دار سعاد الصباح
للنشر والتوزيع

Souad M.S 2021

استهلال

عن كاتبةٍ.. مُشتعِلة بالحروف

تهبُّ عواصف الذكرى فجأة.. تقتلع جذور الحنين، وهي تحمل لي أوراق تلك السنين البيضاء التي كنت أشاكس فيها أبي

هي أوراق مُعبّأة بالكلمات.. أستخرجها من تلك اللحظة السحرية التي يُخرِج لي فيها من تحت عباءته أرنباً بريّاً على هيئة مجلة أو كتاب.. لنبدأ قراءته معاً، بينما أمي تبتسم وهي تراقب ملامح شغفي باللغة والمعرفة.

ويضع شريك العمر الشيخ عبد الله المبارك يده في يدي ويأخذني إلى غايات العلم..

يسكب دفء يده الحنونة على كتفي.. ويُجلسني إلى يمينه في مائدة الحوار التي تجمع أقطاب الفكر والمجتمع والإعلام والسياسة في مجلسه العامر بالأحاديث والأصدقاء.

حتى بدأت الكتابة مطلع الستينيات في الصحف العربية، ومنها الصحف الصادرة في بيروت، والتي أخذت أكتب فيها باسم مستعار تجنُّباً للآراء المُجامِلة..

لم أكن أعرف أن كلَّ هذه النيران مُخبّأة في الورق.. ولم أكن أعرف أن الكلمات يمكن أن تخزِّن حرائقَها بين السطور.. بانتظار لحظة الاندلاع

الـكبرى التـي يراجـع فيهـا الكاتـب تاريخـه، فيُذهلـه هـولُ الهمـوم التـي كتـب عنهـا، وحجـم القضايـا التـي أُثْقِـل بهـا قلبـه.. وكمّيـة الدمـوع التـي سـكبها، ومـدى الصراخ الـذي أعلنـه..

كـم مـن مـرّة تمـزّق أشلاء، وكـم مـن مـرّة أعلـن انهيـار معـاني الإنسـانية في عـالم مُزدحِـم بالـكلام عـن الإنسـانية..!

وكـم مـن مـرة رسـم الـورد في عـالم تتكـدس فيـه ألـواح الفحـم الحجـري وبقايـا الرصـاص الملطّـخ بـدم الأبريـاء..!

لكنّها الكلمة، قدَرُنا الذي سرنا إليه وسار إلينا.

كانـت استراحـة وضعـتُ بهـا عصـافيري على كتـف جريـدة الوطـن في أعـوام، وعلى أغصـان جريـدة القبـس في أعـوام أخـرى.. في زمـن جميـل عاشـت فيـه الكويـت أزهـى فتراتهـا الإعلاميـة، وجمعتنـي مـع رمـوز فكريـة وأدبيـة وإعلاميـة، كانـت علامـة مُشرِقـة مـن علامـات هـذا الوطـن الـذي يقاتـل مـن أجـل الحريـة

كانـت تتبـدل الوجـوه في هـذه الصفحـة التـي ظلّـت محـطَّ اهـتمام النـاس، وأسـميناها (استراحـة)، لكنهـا استراحـة للقـارئ لا لنـا، فكـم أتعبنـا الركـض خلـف فكـرة، ومـراودة عبـارة.. فقاسـمتنا تلـك الاستراحـة خيبـات هـذه الأمـة، وبادلتنـا أحـزان العروبـة.

كانت زاوية تلملم أحلامنا المعلَّقة..

نحتفـل فيهـا بالحـروف التـي وُلِـدت، والحـروف التـي احترقـت في منتصف الطريق.

جمعـتُ العبـارات التـي اشـتعلتْ، واحتفلـتُ بشـكل اسـتثنائي بتلـك

العبارات التي كنتُ أظنها قد انطفأت في وقتها ولم تُحْدِث أثراً، لكنني اكتشفتُ أنها مكتوبة لزمن آخر استدرجَتْه نبوءةُ الكاتب المستحيلة..

كانت استراحة الخميس.. نافذةً أُطِلُّ بها على قارئ شغوف بملمس الورق ورائحة الحبر.. وهو يبحث عن عدد نهاية الأسبوع الذي تميزت به الصحافة الكويتية بكل بهائها وجمالها وجلالها وشغبها.. وأنا الكاتبة الشابة المشاكسة المشاغبة الحالمة الجريئة التي أراد الزمن أن يقلم أظفارها ويغيّر مسارها.. ولم يستطع.

الحلم والورق..

وفائي لقلمي السائل الأسود.. الذي أحب الكتابة به.. والتوقيع به.. والمجابهة به.. متحدية أفواج الكمبيوتر والكيبورد وشروط أزرار الهاتف..

شاي الخامسة مساء.. رائحة القصيدة المبللة بالمطر..

الأفكار التي تهجم فجأة في منتصف الليل، وتسحبك من فراشك الدافئ، تتلمَّس الظلام كي تكتبها قبل أن تهرب

لا أريد ترميم الماضي.. بل أودّ استحضاره فقط.. ولم أكن أتصور أننا لم نتحرك بعيداً عن تلك النقطة التي وقفنا عندها منذ خمسين عاماً.. فقد مرّ قطار الزمن.. واكتشفنا أننا لم نركبه.. بل كنا نقف بجانب المحطة ونرى الحركة ونظن أننا جزء منها..!!

د. سعاد محمد الصباح

ديسمبر 2023

أستراحة الخميس*

(1)

• وطني الآتي من خلف الغيوم.. خبزي اليومي وكتاب كل صباح..
• حبسنا عصفور الحرية الجميل، وطلبنا منه أن يغني!
• جيوش الجراد تزحف على الخليج فتحسَّسْ عروبتك.

*-الوطن 20 / 1 / 1982

مجيف

وطني.. أراك مرسوماً على جبال الألب شامخاً تتحداها.

من أين أبدأ.. وأنت بداية الأشياء ونهايتها..؟

أنا كالطفل المتشبث بصدر أمه.. كلما أبعدوني شعرت بالحنين أكثر، وكلما قربوني ازددت التصاقاً أكثر وأكثر..

لم يستطع أحد فطامي عنك.. فحليبك يجري في دمي.. ودمي عربون لحبك وطني البعيد.. غيوم مجيب تسأل عنك!

***

هنا في هذه القرية النائية تظهر لي من وراء الثلوج لتؤكد للعالم أنك أقوى بالإيمان والعزيمة، رافل بأثواب الحرية.. مدافع عنها ولها، لا تهزك العواصف، ولا تغيرك الأيام

***

وطني هذا الصوت الآتي من خلف الغيوم، تنام معي.. تستيقظ في مرافئ عيني كل صباح، فأنت خبزنا اليومي؛ أتقاسمه والأطفال كل صباح.

وأنت كتابنا الذي نقرؤه كل صباح..

وأنت.. أنت عنواني الدائم مهما بعدت..

***

ديسمبر وعصافيره الملوّنة

ديسـمبر هـذا الشـهر القـادم لنـا مـن وراء الأيـام، يفتـح ذراعيـه وصـدره لننـام هانـئين..

جـاء لنـا وتحـت إبطـه ملفـات السـنة.. يقـدم لنـا الحسـابات الختامية من دائـن ومديـن؛ أثـواب فـرح أو غلالات أحـزان، وما أكثرهـا في أيامنـا الرمادية!

***

ديسـمبر شـهر أسـتبشر بـه كـثيراً، أنتظـره منـذ تعلمـت الأبجديـة، وأجلـس أعـد أيامـه كل سـنة، وأنتظر عصـافيره الملونة حتـى تملأ دنياي فرحـاً، وأودعه بالقـبلات لأسـتقبل عامـاً جديداً..

***

جاء ديسمبر وعلى وجهه ابتسامة الرضا..ويداه مليئتان بالهدايا..

وكما يفـرح الأطفـال فرحـت، ففيـه كتـب لي النجـاح، ودخلـت العـالم وعلى صـدري وسـام العلم..

***

جيوش الجراد في مضاربنا

«بواتييه» مدينة صغيرة تقع على الحدود الإسبانية الفرنسية، بعيدة عن القلب النابض للسوق الفرنسية.

في هذه المدينة أوقف "شارل مارتل" الزحف العربي سنة 732م، وانكسر الزمن، وبقيت المدينة بعيدة عن الاهتمام.. ثم شعرت الدولة بأهميتها.. وأرسلت مئات من موظفيها لترد عن فرنسا الزحف الآسيوي؛ أقصد الزحف الصناعي الياباني، بكل أنواعه الإلكترونية، من الراديو إلى الكمبيوتر، وتحمي البضاعة الفرنسية من المنافسة بعد أن أظهرت الإحصاءات تفوق المبيعات اليابانية على مثيلتها الفرنسية

وتمسُّكاً بحرية التجارة، لجأت الدولة إلى وسائل غير مباشرة لتشل الزحف الصناعي الياباني على أوروبا، فلجأت إلى مدينة بواتييه -أبعد المدن شبه الساحلية- لتمر البضائع اليابانية منها، ومن خلال موظفين محملين بإجراءات وشكليات لتعطيل مرور السلع، وبالتالي تقل مقدرة اليابان على المنافسة دون أن تصدر فرنسا قوانين تعتبر ضد حرية التجارة الدولية التي تؤمن بها هذه الدول، وهي أسس الاقتصاد الحر في العالم الغربي.

يا ترى، ماذا فعلت دول النفط والجيوش الرديئة تزحف على منطقة

الخليج عمالة وسلعاً؟

هل فكرت هذه الدول بدراسة جدية لمشكلة السكان والعمالة؟ وهل تبنت فكرة تجنيس أو منح الإقامة للعمالة العربية الوافدة الماهرة لتحتفظ بالتوازن في قوى العمل أمام زحف الجراد الهائل من أقاصي الدنيا؟

أو هل فكّرَتْ برسم سياسة اقتصادية متوازنة، تقوم على أساس التكامل بين دول الخليج من حيث وحدات الإنتاج وسوق العمل لترد على نفسها مستقبلاً التبعية للأسواق الغربية، وتكون نواة للتكامل الاقتصادي العربي؟

فكروا جيداً، وإلا فإن الطوفان سيجرف كل آثار الإسلام والعروبة في مجتمعنا، ونصبح شعباً بلا هوية، حافظوا على شخصيتنا العربية، واحموها من الذوبان في «التكني كلور» القادم علينا من كل الجهات

سيكون همّي الدعوة لتجنيس من يستحق من إخواني العرب.. وسيبقى حلمي وأملي أن تحافظ الكويت على عروبتها..

منتهى الحرية

في مقهى متعلق على كتف جبل فون جولي.. تناولت الطعام مع أولادي وبعض الصديقات..

المقهى مزدحم، والوجوه مختلفة، وكذلك الألسنة، وكأننا في إحدى جلسات الأمم المتحدة

تأتينا الأصوات من الطاولات المجاورة.. كل يتساءل: أين سيقضي ليلة رأس السنة..؟

وكل له تفضيله وحرية اختيار الزمان والمكان اللذين سيقضي فيهما سهرته..

منتهى الحرية أن يختار الفرد ويتصرف حسب إرادته.. لا أن تأتيه أوامر عليا تكبّل آدميته. المهم أن يبقى تصرفه داخل حدود الأخلاق ومن ثم، فإن حرية المواطن محددة داخل إطار القانون.. وهي حرية مسؤولة

الساعة الأولى من عمر هذا العام

الساعة الأولى في السنة الجديدة.. والقمر في مجيف يسكب على الجبال أنهاراً من فضة.. وهي تكتسي بكبرياء ثوبها الأبيض الجميل وتتمرى في عينيه، والنجوم شهود محبة وسلام، في هذا الجو المسالم المشع الأخّاذ تولد السنة الجديدة.

أطلب من العلي القدير أن تكون سنة خير وسلام على الأمة العربية الإسلامية

المطاعم في هذه القرية المدللة تعجّ بالناس من جميع الأجناس، جمعتنا جلسة أنا وبعض الصديقات مع عائلات عربية، جاؤوا من أماكن متفرقة للاستمتاع بالإجازة، وغسل هموم الحياة بالطبيعة الهادئة والمكان الآمن الأمين.

تبادلنا الأحاديث وهموم العرب.. وكيف مرت سنة لم ير العرب أسوأ ولا أقسى منها في تاريخهم الحديث، على الصعيد القومي والعربي، حيث تلبس الدول ثياب التفرقة والمنازعات، وتلبس بيروت السواد على مجاهديها، وتلبس الحرية ثياب الحداد على وأدها في كل دولة تنطق بالضاد

وإن كان الاستثناء، إلا أن التفاوت لا يزيد عن رياح تهب على بعض

الـدول المتميـزة بالحريـة، لتسـحب سـجادة الحريـة مـن تحت أقدامهـا، كلما حاولـت الوقـوف، وتمـارس الـدول القويـة الضغـط باسـم الخـوف مـن المـد الـذي لا تعريـف لـه إلا مطـاردة الحريـة، ووضعهـا في قفـص مـن ذهـب والتغنـي بأمجادهـا..!

نحن العرب أسياد البلاغة.. والحجة.. وتفسير الأشياء حسب أهوائنا..

حبسـنا عصفـور الحريـة الجميـل، وأقنعنـا أنفسـنا بـأن العصفـور طليـق يغنـي، وينتقـل مـن شـجرة إلى شـجرة لا تمسـه يـد بشر، ولا تعترضـه شـباك الصيادين!

متى يعرف كل العالم الحقيقة؟

مجيف.. قرية فرنسية صغيرة جميلة كابنتي «الشيماء»، تقع في البطين الأيسر لقلب جبال الألب.. لو حاولت أن تحددها على الخريطة لوجدتها نقطة صغيرة تبعد عن جنيف مسافة قليلة.

هذه القرية الأخاذة المرتمية بدلال في أحضان الألب.. تلبس ثيابها الخضراء صيفاً، وتحتار في اختيار الألوان.. الزهور والورود التي تزيد من حسنها، ومن آلاف العصافير الملونة التي تلهو في غاباتها وتستحم في شلالاتها، وتنقر من الفطر والتوت البري النابت في أرضها.

أما الشتاء فسبحان الخالق.. بياض لا نهائي، الجبال الشامخة بكبرياء تكللها الثلوج، والأشجار ترتدي قمصاناً بيضاء كالقطن، وعلى رؤوس البيوت أكاليل بيضاء

كلما دخلت مجيف أشعر بأني أولد من جديد.. ففيها من الهدوء والأمان ما يشعرك بأنك طفل نائم قرير العين في حضن أمه الدافئ والحنون، وبيني وبين هذه القرية عشرون سنة من العمر، أزورها صيفاً وشتاء*.

*-وها قد مرت 40 سنة أخرى، ليصبح عمر العلاقة بيني وبين هذه المدينة ستين عاماً من الحلم والأمل

وجوه ولغات

صباحـاً، والشـمس مشرقـة، والجبـال البيضـاء المترامية تحـدد الأبعـاد، لملمـت أطفـالي وذهبنـا لنـقضي يومـاً في أعـالي الجبـال، المـكان مكتـظ بالنـاس، لغـات متعـددة ووجـوه مختلفـة، وأعمار متفاوتـة

جـاء دورنـا لركـوب التلفريـك، جلسـت والأطفـال في مقصـورة، وارتفـع القفـص الكهربـائي ونحـن بداخلـه نرتفـع عـن الأرض، ونرتفـع عـن همومنـا، ولا نـرى مـن الأشـياء إلا البيضـاء الناصعـة كالثلـوج المحيطـة بنـا.

إن هـذه الثلـوج تغسـل نفوسـنا حتـى إني أشـعر كلما دخلـت هـذه القريـة وكأني سـيارة تدخـل إلى كـراج تغتسـل وتتخلـص مـن همومهـا ومشـكلاتها.. كلما جئـت هنـا شـعرت بـأني نظيفـة مـن الداخـل، شـفافة كقطعـة كريسـتال، متألقـة ومعطـاءة، لأن كل مـا حـولي يوحـي لي بالعطـاء وبالسـعادة

ويرتفـع التلفريـك، وأرتفـع معـه، وأشـعر بـأني قريبـة مـن رب العـالمين، وبـأني معـه دائمـاً

يجـرني هـذا التصـور لسـنوات مضـت، عندمـا سـمعنا عـن مـرض الزعيـم جمال عبـد النـاصر ونحـن في جنيـف، فلـم تُطـمِئن أبـا مبـارك التلفونـات. حزمنـا حقائبنـا وطـار بي وبمبـارك إلى موسـكو، ومنهـا إلى سـخالطوبا ليطـمئن

بنفسه على الزعيم القائد وعلى صداقة العمر

وصلنا سخالطوبا، وهي قرية صغيرة مشهورة بمياهها المعدنية في الاتحاد السوفييتي، لم تمس المدنيّة وجهها البريء، فظلت جميلة بلا مكياج.. ونزلنا في المكان الذي كان مخصصاً للزعيم الراحل، إن معرفة جمال عبد الناصر وسام شرف، وإن الحديث معه سنوات جديدة تضاف للعمر

في أحد الأيام ونحن جالسون معه في الصالون.. وبعد أن تحدثنا عن صحته وهو يحتضننا بعينيه الكبيرتين.. قلت: يا سيادة الرئيس كنت متأكدة أنّنا سنراك بأحسن حال.

قال: لماذا هذا التأكّد؟

قلت: لأن بيني وبين الله صلة قوية، وقد استجاب الله لدعوتي.

قال: صدقت، لأن ما كتب عن صحتي كان أكاذيب مبالغاً فيها لم يستفد منها إلا ناشروها.

ثم قال: هل أخبرك أبو مبارك بلقاء الأمس؟

قلت: نعم، ولكن أحب أن أسمعه من سيادتك..

قال: بالأمس، ونحن في هذا المكان قدَّمت أبا مبارك لأحد المسؤولين السوفييت، وقلت له إنه إقطاعي، قومي، متحمس للقضية، مناضل من أجلها، لا يدع فرصة إلا ويساهم من أجلها، جاء من آخر العالم إلى الاتحاد السوفييتي الذي لا يحب من أجلي..

ثم استطرد: ورويت لهم كيف كان معنا في مصر خلال حرب 1967

قلباً وقالبا، وأنت والأولاد بعيدة عنه في جنيف، ولم يفكر بكم لحظة، وكل همه كان مصر. وكم قاسيت أنتِ، عندما رفض الصليب الأحمر في جنيف شحن الأدوية والمعدات الصحية والحليب عن طريقه، واستطعتِ بأسلوبكِ الخاص أن تشحنيها على طائرة مصرية خاصة.

***

تذكرتُ هذا وأنا أزداد قرباً من السماء، وفي أعماقي صوت يردد: رحم الله عبد الناصر العظيم، من أجل القضية عاش، وفي سبيلها مات..

وصورة ممثل الصليب الأحمر تمرّ في خاطري وهو يزورنا في جنيف هذا الصيف في شهر يونيو الماضي، ليشكر أبا مبارك على تبرعه لإخوانه الفلسطينيين واللبنانيين في لبنان.

وعندما سألته في 1967 عن رفض الصليب الأحمر مساهمتي لمصر، أجاب لأنه تبرع شخصي وهم لا يقبلون إلا التبرعات الحكومية..

وكيف هو بيننا الآن يشكرنا على مساهمتنا؟ سألته!

قال وعلى وجهه ابتسامة خجولة: إن الأيام أثبتت لنا أن إسرائيل هي المعتدية دائماً والعرب مظلومون..

قلت: متى يعرف العالم، كل العالم، هذه الحقيقة ولبنان آخر الشهود؟!

استراحة الخميس*

(2)

• الاحتجاج على «قص لسان» حبيبتي منكر!
• الزمن العربي انكسر مرتين..
• من عين شيماء تبدأ أفكاري وتنتهي..

*-الوطن 9 / 12 / 1982

حبيبتي امرأة رائعة الجمال

حبيبتي امرأة رائعة الجمال..في عز الشباب..

كان أبوها متطوراً.. فأدخلها المدرسة ثم الجامعة.. وأعطاها الحرية المسؤولة.. مارستها بكل الوعي والإدراك.. وأجبرت العالم على احترامها..

ولأن حبيبتي جميلةٌ جداً.. عاقلة.. متزنة.. ومثقفة.. فقد بدأت النساء يغرن منها، وينسجن حولها الوشايات.

ولأن حبيبتي تعاملت مع الناس من منطق القرن العشرين.. فقد تكالبت عليها عقول العصر الحجري..

وبدأت الضغوط على الأب الطيب المسكين ليقص شعر ابنته.. ويقلم أظافرها.. ويحرمها القراءة، والكتابة.. ويدخلها عصر الحريم.. ويشوه وجهها الجميل بماء النار.. ويدفن منجزاتها في مدافن الحريم.. ويقرأ دعاء على روحها.. وأن لا يبكي على ابنته.. لأن البكاء نوع من الاحتجاج والمعارضة، والمعارضة على قص لسان حبيبتي منكر.. فما دام لسانها العربي الطليق منبراً للرأي الحر.. فجزاؤه القص!!

***

إن حبيبتي الجميلة إلى حد الموت، والتي أحبها لدرجة الذوبان، وأغار عليها لدرجة الهلوسة، وأخاف عليها لدرجة الموت، هي.. وطني.. الكويت

انكسار الزمن العربي

انكسر الزمن العربي كالهلال مرتين..

انكسر الزمن العربي أول مرة برحيل جمال عبد الناصر..

وكما يأخذ الإنسان كل ما هو عزيز معه.. فقد رحل عبد الناصر بصورة دراماتيكية..

طوى أعلام القومية العربية وتوسّد عليها.. لأنه لم يتعرف على قائد أمين يسلمه الراية..

وعاشت الأمة في ظلام الانقسام والانكسار والتشتت..

كما ينخسف القمر انخسفت كل معاني القومية العربية.. وانحسر الضوء عن كلماتها ولف الظلام شعاراتها.. حتى لا يكاد العربي يسمع عن شيء اسمه القومية العربية..

وأولادنا لا يفهمون ما القومية العربية.. عندما أحدثهم عن أمجادها وعزّتها وأيام عبد الناصر المجيدة، وكيف أني أخزّن رصيداً من الذكريات عن تلك الأيام الخالدة.. وعن إشراقة العربي.. وكرامة العربي.. وعنفوان العربي.. كأنني أتكلم عن شيء أسطوري لم يمر في مخيلة التاريخ!

***

ثـم انـكسر الزمـن العـربي مـرة أخـرى في بيروت.. عندمـا تناثـر لحـم الفلسـطيني على الأرض، ولم يجـد مـن يـصلي عليـه صلاة الجنـازة.. ويدفنـه كباقـي المسـلمين..

عندمـا رحـل الأبطـال.. تـاركين وراءهـم أطفـالاً ونسـاء مكشـوفي الصـدور كعصـافير ترتجـف في يـوم عاصـف.. وصـوت الدمـوع يعلـو على صـوت المدافـع، والشـعور بالضيـاع يلـف الوجـوه..

رحـل الأبطـال إلى الشـتات.. وأسـدل السـتار على أعظـم تضحيـة في تاريخنا المعـاصر.. وعلى آخـر الانتصـارات العربيـة.. وشُرِبـت الأنخـاب ابتهاجـاً بخـروج الفلسـطينيين وانكسـار الزمـن العـربي، الـذي كان مـن صنـع بعـض الأعـراب..!

من عيني ابنتي الشيماء تبدأ أفكاري وتنتهي

كلما التجـأت إلى مكتبـي.. التجـأت ابنتـي «الشـيماء» إلى حضنـي.. وتكومـت كقطـة سـيامية مدللـة..! تنظـر إلى الأحـرف التـي أرسـمها على الـورق، وكأنهـا تسـمع موسـيقى للأطفـال.. فتـزداد بي التصاقـاً، وأشـعر بالـدفء.. وبشـهية أكبر للكتابـة.. فـكأن عينيهـا السـوداوين حبر لقلمـي أغمسـه بسـوادهما كلما هربـت منـي الـكلمات.. وكالشـواطئ الدافئـة أتمـدد على أهـداب عينيهـا كلما تعقـدت الفكـرة.. فمـن عينـي ابنتـي تبـدأ أفـكاري وتنتهـي.. تشـتعل.. وتنطفـئ..

تنظـر إليّ بتعجـب، وأنـا أتأمـل عينيهـا السـوداوين كعينـي سـنجاب آسـيوي يحـدد أبعـاد المـكان.

مرايـا عينيهـا تعكـس مئـات الألـوف مـن العيـون السـود التـي تسـأل عـن مصيرهـا، عندمـا يجـف النفـط مـن أرضنـا تجاريـاً واقتصاديـاً.. وهـي التـي تعـودت على حيـاة مرفهـة!

ومـا سـيكون مـصير صديقـات لابنتـي نـبتن على أرض هـذا البلد كالسـنابل، ورغـم ذلـك لم تعـط لهـن تذكـرة مـرور للدخـول إلى حيـز المواطنـة، والتمتـع بالحقـوق كأي كويتي..

وهـل جـزاء آبـاء آلاف مـن صديقـات ابنتـي ممـن خدمـوا الكويـت ورووا

أرضها بماء شبابهم أن يحرموا من التمتع بالجنسية الكويتية بعد هذا العمر الطويل؟!

إذا لم يكن من الناحية الإنسانية، فمن الناحية الاقتصادية، ستكون الكويت هي الرابحة إن منَحَت الجنسية لآباء خدموا البلد.. أو لأبناء كل ذنبهم أن آباءهم جاؤوا ليساهموا في نهضة الكويت.. ولدوا فيها وأحبوها.. ونطقوا باسمها قبل أن يعرفوا أسماءهم..

***

وأنا أسبح في عيني ابنتي تصادفني أمواج متلاطمة.. فكيف ننادي ببناء الكويت وأهم مشكلاتها الاقتصادية والسكانية لم تحل؟!

كيف نبني الاقتصاد ونحن بحاجة إلى عمالة ماهرة.. والكويت تواجهها مشكلة الندرة رغم وجود الكثير في أرضها وبين أبنائها.. تغض النظر عنها وتتجه إلى الخارج، لمَ لا نستفيد من العمالة العربية الوافدة التي تشكل جزءاً من النظام الكويتي وجزءاً من حياتنا اليومية على مر سنوات طويلة؟ لم لا نمنحها الجنسية الكويتية حتى تنتج أكثر ونستفيد نحن أكثر وأكثر؟..

كلما نظرت إلى عيني ابنتي أجد فيها سؤالاً أزلياً: إلى متى تبقى سياستنا الاقتصادية دون تخطيط؟

وماذا سيحصد أولادي وأولادك في المستقبل؟

من عيني ابنتي تبدأ أفكاري ومن سواد عينيها يبدأ جهادي..

استراحة الخميس *

(3)

- أين تبدأ حدود وطني.. وأين أنتهي أنا؟
- الإنسان في كل مكان حيوان ناطق، لكن العربي فُرِض عليه الخرَس!
- الرجل أخذ حقوقه بالتزكية.. وظلت المرأة حبيسة الواجبات!

*-الوطن 23 / 12 / 1982

أين تبدأ حدود وطني.. وأين أنتهي أنا؟

كلما سافرت ازددت التصاقاً بك حتى لا أميز بين رمالك ولون بشرتي السمراء.

وكلما باعدت شعرت بالحنين.. وكأني أذوق اليتم لأول مرة..

وطني هذا المتألق دائماً في فكري.. هو بالنسبة لي حدود الزمان والمكان.. وهو فستان زفافي الجميل الذي أزف به إلى الكائنات..

إنه العاصفة.. والبحر.. ورائحة البخور..

إنه الوجدان.. والأهل.. والأصحاب..

***

أرى بعيون أطفالي بحار بلدي وأنا بعيدة..

وعلى جباهم السمر ترسم الصحراء أبعادها..

وفي قلوبهم العطوفة ينعكس حنان بلدي وسماحته..

ومن قاماتهم الشامخة أستمد قوة بلدي وعظمته..

***

أنـا كالعاشـق يـزداد ولهـاً كلما ابتعـد.. ويـزداد شـوقاً كلما اغترب.. ويـذوب حنينـاً كلما هجرتـه الحبيبة..

***

وطنـي بـم أناديـك وأنـت وطـن الأوطـان.. وحبـك يطغـى على كينونتـي.. ويسـبح كالأسماك في شراييـني، ويسـد منافذهـا؟

تمتـزج في داخلي حتـى لا أعـرف مـن أيـن تبـدأ حـدودك.. وأيـن أنتهـي أنـا..؟

إنه يوم عرس للعلم

خبأت أطفالي تحت جناحي، وطرت إلى لندن، لأستقبل يوماً تاريخياً في حياتي..

الشمس مشرقة في عز الشتاء تشاركني فرحتي، وتسكب أشعتها على طرقات لندن..

وأنا كالعروس لا أعرف من أين أبدأ، وكيف أبدأ، فاليوم زفافي لنيل شهادة الدكتوراه، وحولي من دفعني لنيلها، وفرَش دربي بالورود؛ زوجي سندي في الحياة، وأولادي كنز المستقبل يحيطونني بالمحبة والحنان، وأصدقاء هم ثروة العمر ورصيد الحياة

أيام.. وشهور.. وسنوات طويلة مرت كلَّلَتْها اليوم الفرحة. عقارب الساعة تلعب بأعصابي، والوقت يمر بطيئاً ومسرعاً

عندما حان وقت الذهاب، طرت إلى المرآة لأتأكد من أني بمستوى المناسبة..

لبست الروب ووضعت القبعة، وركبت السيارة مع الأهل والأصدقاء، وفرحتي تقفز على وجع عشيرتي وأصدقائي، وعلى طول الطريق الممتد من لندن إلى مقاطعة «ساري» الباصات تبتسم، والأشجار والعصافير الطليقة ترقص حبوراً بشمس فرحتي، والغيوم البيضاء المتناثرة تهمس بسعادة.. وأنا كتلة من المشاعر المتضاربة..!!

وصلنا إلى الكاتدرائية الشامخة على ربوة خضراء، وتحت أقدامها ترقد مقاطعة «ساري» بثيابها الخضراء المزركشة بالورود..

المكان يشعرك بالرعب والخوف والتهيب..

الكاتدرائية فسيحة ذات أعمدة مرتفعة، يشع من أركانها الهدوء والخشوع، والكراسي مرتبة في صفين؛ أحدهما للخريجين، والآخر لأهل وأصدقاء الخريجين

جلسنا في أماكننا، ودقات قلوبنا تعلو على دقات الموسيقى التي عزفت لاستقبال هيئة التدريس في الجامعة، وهم يمشون الهوينى بملابسهم الوقورة الملونة..

وقفنا جميعاً احتراماً للعلم والمعرفة اللذين يتسلحون بهما.. ويجودون بهما.. ويبحثون عنهما.. ويقضون العمر يفتشون عنهما..

إنه يوم عرس للعلم.. يوم جليل وقور..

بدأ الاحتفال بكلمة من رئيس الجامعة، ثم تلاه الرئيس الفخري للجامعة دوق "كنت" بتسليم الشهادات على الخريجين وعددهم 444 خريجاً، بين ماجستير ودكتوراه في جميع التخصصات، وكان أكثر من 60% من الخريجين من دول العالم الثالث..

وهكذا أثبتت هذه الشعوب المقهورة أنها استطاعت أن تقتحم ميادين العلم، وتدخل من أبوابه الواسعة، وتثبت للعالم الغربي أنها تدك معاقل العلم، وتنافس الإنسان الغربي في عقر داره، وتتفوق عليه، وتمحو من ذاكرة العالم خرافة تفوق العقل الأوروبي، فالعلم قاسم مشترك بين الشعوب، وخبز للجميع، ومن فاته القطار، فاته الزمان بأكمله..

الـكل يتنافـس على منهلـه للارتـواء مـا اسـتطاع منـه، فلا يُعـرف الإنسـان اليـوم إلا بعلمـه.. ولا يُـحترم إلا بمـا يملـك مـن رصيـد علمـي..

ثـم جـاء الموقـف الرهيـب السـعيد، والـذي جنـدتُ السـاعات والأيـام والشـهور والسـنوات على مذابـح الكتـب لنيلـه، وذللـت كل الصعوبـات، وحفـرت بأظفـاري أيـام لنـدن الرماديـة، وتحملـت الغربـة ووحشـتها، وهاجـرت بـأولادي، وأخرجتهـم مـن ميـاه الخليـج الدافئـة، وألقيتهـم في ميـاه لنـدن البـاردة طقسـاً وعواطـف..

تذكـرت في هـذه اللحظـة الرهيبـة كـم قاسـيت، وكـم تحمـل مـن حـولي.. وأولادي الذيـن ولـدوا مـن رحـم الكتـب.. هـذا محمـد متعلـق في صـدري يرضـع حليبـه وحليـب الكتـب، وأمنيـة كـم رقصـت على أحـرف الـكلمات وداعبتهـا.. ومبـارك كـم عاكـس النقـاط على الحـروف وانـتصرت عليـه.. والشـيماء هـذه القطـة الجميلـة كـم نامـت في أحضـان الكتـب وحضنـي، ومبـارك ابنـي البكـر عندمـا أسـقطه المـوت مـن جـواد شـبابه في اليـوم الـذي تسـلمت فيـه شـهادة البكالوريـوس*..

ولم يكـن المـوت أكبر مـن إيمـاني باللـه.. فإيمـاني المطلـق دفعنـي للعلـم.. وكان الكتـاب لي الصديـق، الـذي حـاول أن ينسـيني بعضـاً مـن أحـزاني، ويفتـح أمامـي آفاقـاً جديـدة تمسـح غلالات الحـزن.

أبحـرت في الكتـب، وسـافرت إلى أرجـاء الكـون، وأخـذت منهـا مـا زاد ثـرائي ومعرفتي..

كـم أنعـم اللـه علي، عندمـا أحـاط قلبـي بزهـور الإيمـان ودفعنـي للعلـم، وعوضنـي بالـزوج والأولاد..

*-مبارك الابن البكر ولد عام 1961، وتوفي عام 1973.

أتذكر هذا وأنا أخطو بكل ثقة وكبرياء، وأتقدم لأصافح دوق «كنت»، وأتسلم منه شهادة بداية دخولي لحياة علمية جديدة.. وأشكر خالقي الذي وهبني زهرة العقل، وقنديل المعرفة..

كان فخري عظيما عندما نودي على عدد من الخريجات لنيل الشهادات العليا، وهكذا أثبتت المرأة في مجال العلم أنها النصف الآخر للرجل، وأنه لا فرق بين رجل و امرأة، فهما جناحان يطير بهما الوطن للوصول إلى أعلى المراتب..

ومن باب الالتزام بقوله تعالى: (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**)، ومن وصايا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في الحث على العلم، قطعت هذا المشوار الطويل الذي كانت أشواكه أكثر من وروده، ولكن بالإيمان والعزيمة ثَبَتُّ كامرأة وإلى جانبي رجل يشد أزري ويدفعني لأحقق أقصى الأمنيات لخدمة وطني.

ومن هذا الاحتفال خرجت وفي ذهني تتزاحم الأفكار التالية:

أولاً- إن المرء إذا أحب عملاً أنجزه مهما كانت الصعاب.

ثانياً- إن شعوب العالم الثالث قد أفاقت من غفوتها، ولحقت بركب العلم، واستطاعت أن تثبت وجودها في أكبر الجامعات العالمية.

ثالثاً- إن المرأة العربية دخلت ميدان العلم، وأجبرت العالم على احترامها، وأثبتت أنها جديرة بما حققته من نجاح.

رابعاً- إن الإبحار في محيطات الكتب، رحله ممتعة تحمل العقل والروح إلى أماكن لا ندري عنها شيئاً، وننهل معلومات لم نعرفها من قبل، فتزيد من ثراء النفس والوجدان..

الإنسان حيوان ناطق

تطالعني الصحف وقانون حقوق الإنسان يمد لسانه لي ويستهزئ بي.. وكلما حاولت أن أقرأ، تبقى كلمة الحريات وحقوق الإنسان عالقة في فكري.. تسبح في أنهار عيني.. وأنا أناجي الكلمة وأحللها.. «الإنسان معناه حيوان ناطق»..!

إن الإنسان العربي حيوان ناطق كباقي شعوب العالم إلى سنوات مضت، مع وقف التنفيذ.. عندما حاولت بعض الأنظمة العربية أن تقطع لسانه ويصبح الإنسان العربي حيواناً غير ناطق كباقي الحيوانات يسرح صباحاً ليفتش عن علفه، وفي المساء يسمع آخر شعارات النظام ودقات طبوله وأهازيجه، وينام كما الدجاج في أقفاصه مع غروب الشمس..

ومادام الكلام أصبح في خبر كان والحاكم بأمر الله يلعب بالأبجدية، ويشطب الفاعل والمفعول.. يبقى هو الصفة والحال والجارّ، والشعب يبقى مجروراً به.. يدبلج آلاف الاستفتاءات..

ويأتي أخي في العروبة ويوقع بحوافره على منجزات العهد الذي لم يولد رئيس على مر العصور مثله..

وتبقى الأمهات العربيات عاقرات، مادامت ألسنتهن مقطوعة.. ومادام العباقرة يتركون الحظيرة، ويهاجرون إلى عالم متحضر يعرف بأن الإنسان حيوان ناطق..

استراحة الخميس*

(4)

• وظل البيت يردد صوت أبي وهو ينادي: "أم الخير"..
• هل أصبح الجواز العربي وصمة عار في البلاد الأوروبية؟!..

*-الوطن 27 / 1 / 1983

المستشفى الأميري والثأر القديم

بيني وبين المستشفى الأميري ثأر قديم.. يعود إلى ربع قرن من الزمان.. حين استيقظت يوماً على همسات الموت في بيتنا تدعوني للذهاب إلى المستشفى!!

لا أعرف ما لبست، ولكني أتذكر جيداً أن الخوف قد لبس نفسي كالسوار الضيق، والحزن كان يعتصر قلبي كالليمونة الفجّة، واليأس يخنقني، والدموع تسدّ جميع المنافذ..

هرولت والهلع والأفكار السوداء تلهث ورائي، تتقدمني تارة، وأسبقها تارة أخرى.

وصلت إلى المستشفى، فإذا بأمي مستلقية على سرير أبيض، وشعرها الأسود كالليل يحدد معالم وجهها الجميل، وأنفها المرتفع بكبرياء ينادي الموت، وعينان كبيرتان بلون الحبر الصيني، تنتظراني لتودعاني، وتستودعان الدنيا الكبيرة نظرتها الأخيرة.

ثم أغمضوا عينيها لتستقبل الحياة الحقّة.

أمي.. كنز الحنان والوجود..

رحلت..!!

رحلت وهي لم تتخطّ السنوات الأربع بعد الثلاثين.. وتركتني بين حيطان المستشفى الأميري أسجل أول مواجهة مع الموت، وأنا لا أزال في أول سنوات المراهقة محتاجة لحنان أكثر من كل أيامي الماضية.

بكل الإيمان استقبلت الموت وهو يطفئ شمعة الحنان، ويسرق من أصابعي أغلى الخواتم، ويزرع في عينيّ الحزن.

ودعت أمي.. ووعدت نفسي أن لا أدخل هذا المستشفى مرة أخرى، لكن للقدر أيادٍ خفية تجرّنا من غير أن نعلم.

فبعد خمسين يوماً بالتمام والكمال دعاني الموت مرة أخرى، ليشاهد المستشفى جدتي وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة بين يدي، ويمتحن إيماني داخل جدران أربعة، ويرى ما سأفعل وأنا وحيدة إلا من رحمة ربي..

ثم دخل الضيف بيتنا مرة ثالثة يدعو أبي ليسافر معه بعد رحيل أمي بأقل من سنة، لأنه لم يقوَ على بعدها أكثر من هذه المدة، وتساقطت أوراق شجرة الحنان والدفء، والمحبة، وجلست تحت شجرة اليتم العارية كعصفور مبلل تائه في ليلة عاصفة، أتأمل الدنيا وأنتظر أحداثها.

وظل البيت الكبير يردد أصداء صوت أبي وهو «يتغرغر» باسمي كل صباح، وينادني بـ"أم الخير"، وأنا أفتش عن صوت أبي وعن الدَّلال الذي افتقدته، وعن الأبوّة والعطف والحنان، ولا أجد إلا أشباحاً تملأ البيت، وأنا فيه غريبة، أفتّش في الفراغ ولا أجد إلا الفراغ!

وهكذا كبرت وكبر ثأري معي.. ومن عادتي، كلما مررت قرب المستشفى، أن أشيح بوجهي عنه، وأنظر إلى الجهة الأخرى المقابلة، حيث البحر

المترامي كأحزاني.. العميق كآلامي..

إلى أن مررت وصديقة منذ أيام على المستشفى.. فقالت تخاطبني: المستشفى الأميري الجديد.. وهي لا تعرف شيئاً عن السكين المغروسة في عقلي الباطن، والجرح النازف دوماً في خاصرتي. وبحركة لا إرادية التفتّ لأشاهد أولى جولاتي مع الأحزان والمآسي، فوجدت سجناً مرتفعاً لا منفذ له.. وقد حرموا النزلاء من إطلالة البحر

ألا يكفي المريض أنه مسجون داخل آلامه حتى يسجنوه داخل الجدران الأربعة؟..

ألم يجربوا الآلام والأحزان والأمراض حتى يحرموه من أجمل منظر؛ من بحر تذوب فيه كل أفكار المريض السوداء؟!.. فمنظر البحر وتجدد ألوانه وحالاته تعطي كل يوم أملاً جديداً، وحياة جديدة..

إن العلاج النفسي أهم من العلاج الجسدي..

البدوي.. و"الفقع"

«الفقع» بالنسبة للكويتيين ولأهل الجزيرة تباشير الخير موسم الربيع والبر والتمتع بالطبيعة، والانطلاق والتحرر من قيود البيت وما فيه من تقاليع غريبة مستوردة، لم يتعود عليها الكويتي مهما سافر أو تعلم، فإن خيوط البداوة تشده.. والبدوي بكل بساطته متربع في داخل نفسه!!..

في المجلس جاءنا قبل أيام أحد الإخوة ممن يرتبطون بالبادية، كما يرتبط الطفل بالمشيمة، والدموع تلمع في عينيه وهو يروي لنا الحادث:

أخذت أولادي والفرحة تطارد سيارتنا، والكل فرح بقضاء يوم في أحضان الصحراء.. وصلنا إلى المكان المحدد للقاء بعض الأقارب، نزل الأولاد سعداء يشمّون الأرض ويقبّلون التراب، وكطيور الصقر ينقضّون على «الفقع» يقلعونها من الأرض، ويجمعون ما حصدوا أكواماً، وكل منهم يتفاخر بما استطاع أن يجمع من «منجم الصحراء»، والأكوام الذهبية والبرونزية والبيضاء اللون تكبر وتتوالد، حتى إذا جاء المساء لملمنا شملنا للعودة وسعادتنا تطغى على الكون.. وفي أحضان سيارتنا يرقد الكنز الذي أمضينا طوال ساعات النهار نبحث عنه ونتتبع آثاره، وعندما وصلنا نقطة تفتيش سألونا إذا كان معنا شيء!

فأجبتهم: لا يوجد معنا إلا «فقع» من تباشير الأرض المعطاء..

قال: هذا ممنوع، أعطني إياه!!

قلت: لا.. سأعود مرة أخرى لجماعتي..

وعدت بضعة كيلومترات ورميت «الفقع» في الأرض وبكل عصبية وغضب الدنيا، والأولاد من حولي يتباكون ويصرخون كمن فقد عزيزاً، دست عليه، وكل غضبي أنزلته عواصف وأمطاراً على «الفقع» المسكين حتى جعلته والأرض سواء..

وعدت إلى البيت، ولم نتكلم طول الطريق، وكأننا عدنا من جنازة حبيب، ودموع مالحة يبلعها الأولاد، وعندي حالة إحباط شديد.. ومنظر»الفقع» في الصحراء يناديني!!..

بعد سماع قصته تعجبت وخاطبت نفسي: ألا يكفي عوامل التعرية أن تأكل من أرضنا كيلومترات بين الحين والآخر.. حتى تمتد إلى «الفقع»..؟

الجواز العربي الأحمر

الطائـرة الماليزيـة حـدث في تاريـخ الـطيران لا يعادلهـا إلا الكونكـورد، فالاسـتمتاع بالـطيران مـع هـذه الشركـة لـذة.. وكأن المسـافر يـطير على بسـاط حريـر مطـرز بـأحلى الألـوان، فالخدمـة والاسـتقبال واللطـف على هـذه الطائـرة تشـعرك بأنـك «الملـك المتـوّج في الفضـاء الرحـب».

تلقيـت اللـوم لأني سأسـافر على طائـرة مـن طائـرات العـالم الثالـث، ولأن السـفر على طائـرة مـن طائـرات العـالم الثالـث مذلّـة.

ولكننـي أكـدت للأحبـاب بـأني قـد جربتهـا في سـفرة سـابقة إلى ماليزيـا، وكنـت كمـن سـافر على الأرض في أوروبـا مـع احترامـي لبعـض الطـرق في الكويـت، أو كمـن كان ضيفـاً «لحاتـم الطـائي»..

كانت تجربتي الأولى مع بساتين «جوز الهند».

الطائرة تجربة جميلة، فلذلك هربت من الشركات الأخرى، والتجأت إلى ظلال أشجارها الدافئة، أستنشق الأوركيد واللوتس، وأنام هانئة مع أحلامي..

ثـم تلقيـت لومـاً آخـر على وصـول الطائـرة في الصبـاح الباكـر، علنـي أنسـحب مـن اللجـوء الاختيـاري للانـضمام لغابـات كرمهـا، ولكنـي قـررت أن أرحـل ونـفسي تسـيطر عليهـا الذكريـات لأسـافر على أجنحـة الشـوق لأولادي..

أول محطة للوقوف كانت «فرانكفورت»، استأذنت الكابتن للنزول لأني قد وعدت عصافيري بالاتصال هاتفياً للاطمئنان، ولسكب المزيد من الشوق على نيرانه المشتعلة في داخلي، وكأن الفراق من سنوات، وكأن الشوق يولد من الشوق ويتكاثر، وكأن المسافة كلما قربت زادت بعداً!!

ساعدتني المضيفة بالنزول إلى المطار.. وذهبت إلى البنك لأصرف بعض النقود التي أحتاجها للمكالمة الهاتفية..

لم يرض الألماني الغربي المترفع، أن يفهم أن هناك أمّاً تريد أن تسمع صوت أبنائها الآتي من وراء الأسلاك، ومن وراء آلاف الأميال مطر يروي أمومتها! وبكل العنجهية والبرود الغربي الذي ليس له مثيل، أعطاني عشرة ماركات، وقال: «اذهبي اصرفي من الجالسين هناك علهم يكونون أحن مني عليك». وذهبت أتسول بالمئة مارك التي في يدي، أطلب من ركاب «الترانزيت» أن يصرفوها لي، وتكرّم البعض عليّ وصرفها، وقدرت مذلة المحتاج..

لملمت ما تعطف عليّ به الإخوة المسافرون، وذهبت إلى البريد حتى أسترد كرامتي بكلمات تجود بها عليّ طيوري الدافئة في أعشاشها، وأسترد راحة النفس بسماع أصواتهم..

وقفت عند نقطة المرور، فإذا بعسكري لونه كالدم، وعيناه كفيروز البحر، يرطن بلغة لم أحاول أن أتعلم منها غير «شكراً»، يأمرني بالذهاب إلى الغرفة المجاورة حتى أتفاهم مع رئيسه..

دخلت الغرفة وإذا بأربعة من «شباب هتلر» يتوسطهم خامس على شواربه يقف الطير بكل استرخاء..

سألني ما أريد..

شرحت له الأسباب، وقلت في أي مطار في العالم يكون الاتصال الهاتفي مسموحاً به ومؤمَّناً، ويقوم البنك أو البريد بصرف العملة حتى يسهل ذلك للمسافر..

قال: البريد داخل الترانزيت مقفل الآن، تستطيعين اختراق هذا الحاجز حتى تتكلمي من هذا الصندوق، وهو يشير بإصبعه إلى صندوق لا يبعد عنه كثيراً.

ولكن أعطني جواز سفرك..

فتحت حقيبة يدي بكل هدوء الدنيا، وأعطيته الجواز، وفي داخلي بركان يتفجر، فالوقت يمر، وإن لم أكلم الأولاد فسيقضون ليلتهم قلقين..

رأيته وكمن لسعته أفعى أفريقية، وقف وقال: مستحيل!!..

قلت: لماذا؟!

فإذا به يكلم الرفاق، ويقول: عربية وجواز سفر دبلوماسي!!*

تغيرت الوجوه، وبدؤوا يرطنون بكلمات لم أفهمها، ولكن التعابير المرسومة على وجوههم أفهمتني عما يتكلمون!!

قلت: إن كنت تخشى شيئاً دع أحد رفاقك يرافقني..

قال: ألف لا..

قلت في نفسي: إن تماثيل «متحف توسو» أكثر منكم إحساساً وتعاطفاً، وحرارة، إنكم بشر من غير قلوب..

وعدت للطائرة أبلع دموعي.. وأتساءل: هل أصبح الجواز العربي الأحمر «وصمة عار» في بعض البلدان الأوروبية؟؟.

*-في ذلك الوقت نشطت عصابات عالمية متخصصة في سرقة الجوازات الدبلوماسية الخليجية.

أستراحة الخميس *

(5)

• وردة حب لمن قدّم لي زهرة أو رماني بحجر..
• عندما تعرض المرأة الكويتية مجوهراتها على مليونيرات الانفتاح..
• أخت نفسي تسألني: أجاهلية نعيش أم الإسلام؟
• لم تفاجئني الزوبعة التي أثارتها خيولي..

*-الوطن 10 / 03 / 1983

أنا سعاد.. فقط

أرى في بعض العيون تساؤلات تقول:

لماذا سعاد الصباح؟ ولم تطرح نفسها؟

أطرح نفسي اليوم من غير ألقاب.. فأنا سعاد المواطنة التي أنهت تعليمها حديثاً، بعد صراع سنوات من أجل تحقيق طموحاتي، وأثبت لأبنائي أولاً ولمجتمعي ثانياً أن المرأة تستطيع تحقيق ذاتها.. فخرجت من الشرنقة، ومزّقت خيوط الحرير والأبّهة وما يحيط بالمركز من بعد، ونزلت إلى أرض الكادحين أتلمّس عذاباتهم، وأنصهر في مشكلاتهم، أتسلّح بالعلم، فهو الجوهر الحقيقي للإنسان، ملكه الدائم، ورصيده الأساسي الذي لا توجد قوة في الأرض قادرة على أن تضع يديها عليه.

اليوم تعرضت للأضواء لا حباً فيها.. فخلال ثلاث وعشرين سنة وأنا في كنف زوجي العظيم، من الكويت مروراً ببيروت والقاهرة، كنت أستطيع أن أوظف الأضواء لصالحي، ونحن أقدر بمعرفة ذلك من خلال معايشتنا للناس، ولكني رفضت أضواء تسلط على ملبس، وطعام، وشراب، وحفلات، وسفر، وعيد ميلاد، فرسمت لنفسي طريقاً آخر تركض فيه الأضواء ورائي، لا أستجديها أو أدفع لها لتكتب عني!

جئت بعد هذه السنوات الطويلة، وبعد أن أنهيت رسالتي، وطلب

منـي أن أقـدم بعضاً مـن شـعري ومـن قصائـدي النثريـة، وقفت في السـاحة مفتوحـة القلـب، ألهـث.. قادمـة مـن آخـر الصحـراء لأضـع وردة حـب على صـدر رجـل أعطـاني كل حياتـه وسـهّل لي مـسيرتي الأدبيـة والعلميـة، ولأتغنى بوطنـي بـأحلى مـا كتبـت، فشـكراً لـكل مـن قـدّم لي زهـرة حـب أو رمـاني بحجـر، فأنـا أعـتبر جميـع مـن قالـوا أو كتبـوا إنمـا يقولـون ويكتبـون بدافـع المحبـة، أشـكر الجميـع على هـذه الأوسـمة، وأشـكر مـن حضروا أمسـياتي، وأعطـوني الحـب كل الحـب، وأبكـوني مـن الأعماق.

لـذا، لم أفاجـأ بالزوبعـة التـي أثارتها خيـولي وهي تصهـل على الأرض الترابية التـي اعتـادت المـرأة أن تمشي عليهـا حافيـة القـدمين، منحنيـة الـرأس، غير واثقـة حتـى لا تـثير الغبـار، ولا تـثير التسـاؤلات وأقاويـل الحسـد والـغيرة.

إن للنجـاح ثمنـاً لا بـد أن ندفعـه، وهـذه سـنّة الخليقـة منـذ كنـا على مقاعـد الدراسـة، فالمتفـوق كان محسـوداً وكان مشـجباً لأقاويـل الكسـالى والمهمـلين، والمـرأة الجميلـة كانـت تُذبَـح بألسـنة القبيحـات، وهكـذا الحيـاة.. لا بـد أن ندفـع الضريبـة في درب نطرقـه، وهـي الشـهادة، فمـن لا يعمل ولا يبذل جهداً فلن يمسه أحد بسوء لأنه يعتبر في عداد الموتى.

أنـا مشـيت الطريـق بـكل ثقـة، أحسـب خطـواتي، وأعـرف بدايـة الطريـق ومتـى ينتهـي، فبدايتـي كانـت منـذ عشريـن سـنة، وقـد تناولهـا وقتئـذ النقـاد في بيروت والقاهـرة، ولكـن ربمـا أخبـاري الأدبيـة لم تصـل إلى بلـدي إلا متأخـرة، وإذا كانـت الصفحـات الأدبيـة قـد بـدأت بالاهـتمام في كتابـاتي وأمسـياتي الشـعرية، فلأننـي قـد نضجـت أكثر ونهلـت مـن بسـاتين الفكـر أكثر، وقطفـت منهـا أحلى أزهارهـا، ومزجتهـا بعطـري الخـاص، وقدمـت باقـة جميلـة فيهـا كل كبريـاء المـرأة وعنفوانهـا، وحبهـا الأوحـد، وحنانهـا

الفائـض وشـفافيتها وصـدق مشـاعرها.

ومـا أسـتغرب لـه أن قصيـدتي الوطنيـة التـي نشرت في الصحـف المحليـة منـذ سـنوات عـدة (ارفعـي المشـعل)، أثـارت زوبعـة وعُلِّقـت على المشـنقة، وقُصَّـت أجنحتهـا، وقُطِـع لسـانها.. ولا أعـرف السـبب!!

هل الأمة الآن أحسن حالاً مما كانت عليه قبل سنوات، وكأن غرباء الدار لم يغرهم بريق الذهب، ولم يستبيحوا -دون حق- أرض أمي وأبي، ولم يفصلوا مصر عن العرب، ولم يعبثوا بالثوب العربي تمزيقاً، ولم يثيروا حرب العراق - إيران، ولم يضربوا المفاعل العراقي، ولم تلوِّث أقدامهم تراب لبنان؟

نحـن أصبحنـا مـع الأغنـام في أرض بلادي، وكأننـا لم نكـن أغنامـاً، ولربمـا الأغنـام أحسـن حـالاً، فهـي على الأقـل آمنـة على علفهـا، «والـكلاب السـود ترعـى والخنازيـر تنـادي»..

هـل تـغيرت الصـورة عـن سـنوات مضـت، لا بـل أصبحـت أكثر قتامـة وسـواداً، ومـا زالـت الـكلاب السـود والخنازيـر تحيـك أصنـاف المؤامـرات لأغراضهـا الاستراتيجيـة حتـى تبقـى الأمـة العربيـة مهترئـة، متفتتـة مشـلولة.

أقـول مـرة أخـرى إن الصـورة لم تتـغير، ولربمـا الأيـام تـغيرت، فأصبحنـا نرجـع إلى الـوراء عوضـاً عـن التقـدم.

وصدقـوني للمـرة الألـف: إن مـا أتغنى به ليـس ضد أحد وإنمـا ضد الخوف، والإرهاب، والشـعوبية، والتفريق، والعنصرية، والإمبريالية وسياسـة النعامة

وطـالما جرحـي ينـزف مـن الداخـل فسـأظل أغمـس ريشـة قلمـي بدمـي.. وأكتب..

لحضارة القشور

في كافتيريا فندق ماريوت الملحق بالقصر التاريخي الذي بناه الخديوي في افتتاح قناة السويس لاستقبال الإمبراطورة أوجيني، لفت نظري زهرتان من زهور الكويت، يفرش عطرهما الطريق قبل أن تدخلا علينا، راعتني رؤيتهما ونحن في الصباح الباكر، إحداهما تلبس فستاناً أقرب ما يكون إلى أثواب الحفلات بعد الظهر، وتسريحة شعرها توحي بأنها ذاهبة إلى مسرح للتمثيل، والمكياج يغطي وجهها الجميل بلونين أحمر وأبيض، وعيناها السوداوان تظللهما ألوان غريبة وتحجب جمالها

أما الأخرى فقد تصورت أنها عارضة مجوهرات، جاءت إلى هذا البلد لتعرض مجوهراتها على مليونيرات عصر الانفتاح، والزهرتان لم يتعدّ عمرها السادسة عشرة

تعجبت لمنظرهما وأنا أكاد أتمزق من الداخل، وسألت نفسي: هل رأتهما أمّاهما قبل أن تغادرا البيت أم أنهما لاهيتان، لاهثتان وراء الزيف، لا تعرفان عن ابنتيهما إلا أنهما ولدتاهما ذات يوم!.. وإذا سمحتا لابنتيهما بالتزين بكل هذه المجوهرات؛ ياقوت وزمرد وألماس، في هذه السن، فماذا تفعلان عندما يتقدم بهما العمر؟.. وهل أدركتا أن ما تحملانه من ياقوت وزمرد ومجوهرات «بولبحاري»جميعها لا

تساوي صفاء النفس ونقاء الأنوثة؟!

المجوهرات الحقيقية هي ما يحمله الإنسان في داخله من صفات جميلة، وما تحمله خزائن فكره من معادن يجب عليه أن يكتشفها ويصقلها ويقدمها لخدمة نفسه ووطنه، وهل عرفت هاتان الزهرتان أن البساطة هي تاج الجمال؟!

علامات استفهام كبيرة ارتسمت على وجهي وأنا أنظر إليهما، وأشعر بضياع البراءة والجمال المدفون تحت أغطية المكياج،

واندهش محدثي من المفاجأة وسألني: ما بك؟..

قلت: هذه ضريبة النفط التي أنعم الله علينا بها، ولم يحسن البعض استغلالها، وتَصوَّر أن المال مجوهرات وأسفار وبهارج، وعيش على هامش الحياة، وحرية في الملبس والمأكل، وممارسات غير مسؤولة تصل إلى حد السفه..

مسكينة هذه الحرية كم شُوِّهت.. وكم عوقبت.. وكم حوكمت.. وكم شُنِقت على أيدي أفراد لم يعرفوا معناها!!

أشباح أثينا تطاردني

المسافر إلى أوروبا في الشتاء، كأنه مسافر على جمل في الربع الخالي في أيام الصيف، لا يعرف متى تهب عليه العواصف ولا يدري أين يتجه!

مسافرون نحن رأساً إلى جنيف، كل شيء حولنا يبشر برحلة مريحة، ولكن وأنت في قلب السماء لا تعرف متى ستلفظك الرياح ومتى ستبلعك، وأنت على ارتفاع اثنين وثلاثين ألف قدم عن سطح الأرض وكل ما تراه من حولك جبال غير نهائية من القطن المندوف، والشمس تبتسم مشرقة في الأعالي.

بعد ساعتين من الرحلة أخبرنا الكابتن بأن الطائرة ستتجه إلى روما لقوة الرياح التي تضرب مقدمتها، والطائرة تصارعها للاندفاع، بينما الرياح تجرها للوراء فتخفف من سرعتها.

وقبل وصولنا إلى روما بنصف ساعة أخبرنا مرة أخرى أننا سنتجه إلى أثينا لأن مطار روما مُضرِب، وذلك الإضراب القاتل الذي شل حركة إيطاليا وصناعتها..

ما إن ذكر أثينا حتى قفز قلبي إلى فمي، وشعرت بدماء ساخنة تملؤه، وشعرت وكأن في داخلي قصوراً من القش جعلتها أثينا هباءً منثوراً

عشر سنوات مضت على آخر مرة وطئت قدماي فيها أرض اليونان، عندما كنا على الطائرة المشؤومة وابني الحبيب يتوسَّد يدي، والموت يتوسَّد عينيه الكبيرتين السوداوين، وأنا أنظر إليهما وأجد أن أحلامي كلها قد تكسّرت، وتناثرت فيهما، وكأني لم أحمل به، ولم ألد، ولم أربِّ، ولم أحلم بأن يكون لي سنداً، وأيقنت أن الشمس لن تظهر كل يوم من عينيه. انهارت مقاومتي التي بدأت منذ سنوات في إعدادها، وفجّرت كلمة أثينا كل ينابيع الحزن والكآبة التي تصورت أن الأيام قد ردمتها تحت سطح نفسي، فإذا بها تتفجر كالإعصار مرة واحدة وتخرج من مسامات جلدي

سنوات عشر ماثلة أمامي وكأنها اليوم وأنا أنحني على يد الطبيب أقبّلها، وأطفالي حولي يتباكون وأنا كالغبار المنثور في يوم عاصف

أثينا.. أثينا.. أثينا.. كلما ردّدها الكابتن من مذياع الطائرة شعرت بعشرات السيوف تنغرس في جسدي وتدميه..

ما إن أقلعنا حتى ذهبت أتلمس رؤوس أولادي وصدورهم، وأضع يدي على قلوبهم حتى أطمئن أنهم لا يزالون أحياء، وأن سهام الموت في أثينا لن تطاردنا مرة أخرى..!!

أخت نفسي تسألني

يأتي صوتها من بعيد وكأنها تتكلم من عالم آخر. لا أصدّق أن هذا صوت صديقة الطفولة والصبا وما تبقى من العمر، والتي اعتدتُ أن أكلمها دائماً.

راعني صوتها المشنوق دمعاً، وآهاتها الحارقة التي هزّت وجداني..

سألتها عن حالها ودموعها اللامرئية تكاد تصل إليّ عبر الهاتف، وتعبر الحدود دون جواز سفر أو تأشيرة مرور:

- ماذا جرى للبصرة؟..

- أخبريني عن حالك..

- لا تعذبيني يا صديقتي تكلمي، فللبصرة في قلبي مكان لا أتنازل عنه لأحد، فهي مرتع طفولتي وأحلى ذكرياتي

وانساب شريط الذكريات يدور في مخيلتي، ابتداء من مولدي في الزبير إلى دخولي مدرسة حليمة الابتدائية، ومعرفتي بصديقتي وذهابنا سوياً كل يوم، نقطع الطريق إلى المدرسة على ذلك النهر الخالد، وندخل أول صفوف المتوسطة وكأننا ندخل مكاناً مقدّساً، ومراجعتنا اليومية، وتليفوناتنا التي لا تنقطع، وهواتفنا المراقبة، وإجازاتنا المتصلة

والتظاهـرات التـي كنـا نشـارك فيهـا.. وأهلهـا الذيـن أصبحـوا أهلي، وأهلي الذيـن باتـوا أهلهـا، وفرّقنـا القـدر واتسـعت المسـافات بيننـا، ولكـن صلتنـا الروحيـة ظلـت متصلـة لا تنقطـع، أسـأل عنهـا وتسـأل عـن أخبـاري، وعـن غـد أطفالهـا كما الـفلاح يرعـى زرعـه، وتحتضـن أولادي كما العصـافير تخاف على أولادهـا، وتشـيخ الأيـام وتـكبر صداقتنـا حتـى أمسـينا أخـتين مـن أُمّين وأبويـن مختلـفين.

تذكـرت كلمات نثريـة كتبتهـا عنهـا منـذ عشريـن سـنة في كتـابي المنشـور في بيروت عـام 1963 «مـن عمـري»:

هل تذكرين؟

إلى خولة السامرائي

صديقتي خولة،

هل تذكرين؟..

عهد الهنا

والصفا

وطهر الطفولة

وحلو السنين

إذ كنا نلهو

بين النخيل

والشمس تعلو

والطير يشدو

والعيش خُلْو

من العنا

***

وزهرة الياسمين

كم ظلمناها

وانتزعنا منها الحياة في الربيع

والجدول الرقراق

عكّرنا صفوه

بأيدينا القساة

***

كبرت معنا الأيام

ترافقنا

على طريق النهر

للعلم والنور

إلى المدرسة

نجتازه زُرافات

متسابقات

إلى العُلا

يدفعنا الطموح

وباسمات المنى

***

وجذع النخل

هل هو، في الساحة، باقٍ

والسلّم.. و"الفصل"

وكل زاوية، وجدار،

من سألك عني؟

ومن حفظ عهدي؟

***

وشجرة السدر

أما اشتاقت صخبنا

أم هرمت وانحنى

ظهرها

من توالي العمر؟

***

والبصرة الفيحاء

أما اشتاقت بنيها؟

أمّنا الحنون

كم لها من فضل علينا!

جاءتني دموعها قبل كلامها تشرح المأساة، ترتعش كقشة في أيام الشتاء القاسية:

أخي الوحيد قد جُنّد في منطقة حساسة في الحرب كآلاف من الشباب وأنا أتمزق خوفاً عليه من أن تحصده النيران..

كلمتني وما كان بإمكاني أن أقدم لها إلا الدعوات، أنصحها بقراءة كتاب الله العظيم ليشرح صدرها..

أقفلت الهاتف وفي قلبي غصة، وفي فمي مرارة، وصوتها في مسمعي يتردد. أهي الجاهلية التي نعيشها.. أم الإسلام؟ إلى متى يقتل المسلم أخاه المسلم.. وما ذنب الإنسان حتى يدفع كل هذا؟.. والمستفيد الأول والأخير من هذه الحرب البشعة هو العصابة العالمية التي من أقصى أحلامها تمزيق العالمين العربي والإسلامي والتخلص منهما معاً..

أنا.. وابنتي

اليوم جاءتني ابنتي من المدرسة باكية..

سألتها: ما سبب البكاء؟

قالت: صديقتي..

قلت: ما بها صديقتك؟..

قالت: صديقتي تقول إن أمك سعاد عراقية، فكيف تقولين إنك كويتية؟.. وقلت لصديقتي: إن أمي كويتية مولودة في العراق، كما أنت فلسطينية مولودة في الكويت، وكما أنا كويتية مولودة في الإسكندرية..

فقلت لها: لا يا ابنتي لا مجال للنكران، قولي لها إن أمي عراقية، فلسطينية، مغربية، مصرية، وهي عربية قبل أن تكون كويتية، وجدّها محمد الصباح الذي حكم الكويت 4 سنوات قبل شقيقه مبارك الصباح.. وجدتها لوالدها موضي الجراح الصباح، وجدة والدها لولوة الثاقب والدة حكام الكويت.

رفعت ابنتي عينيها إليّ.. وعلى وجهها ابتسامة وإصرار..

موعد الاجتماع الذي طار بين مطار جنيف ومطار الكويت

يومان والسماء في جنيف تمطر دراهم فضية، حتى كست البيوت والشوارع والسيارات، وكللت رؤوسنا بتيجان بيضاء، وأصبح الوصول إلى جنيف مغامرة

وما يفعل أمثالي عندما يكونون مرتبطين بمواعيد مهمة وأسفار؟

بعد الظهر كفّت السماء عن كرمها، واستطعت أن أصل جنيف سالمة، ولكن المطار يقفل من العاشرة مساء إلى السادسة صباحاً خوفاً على الشعب السويسري المرفّه من إزعاج صوت محركات الطائرات..

سافرت في السادسة صباحاً حتى أصل قبل موعد الاجتماع المنعقد في وزارة التخطيط*، ولم ندرك أن مطار الكويت يقفل من الساعة الواحدة ظهراً إلى الخامسة عصراً لتصليح مدارج هبوط الطائرات خوفاً على الطائرات من إزعاج الممر القديم ومطبّاته..

حُوّل اتجاه الطائرة إلى البحرين، ومكثنا في رحاب أولاد العم الأعزاء ساعات ننتظر الفرج من مطار الكويت، ولما سُمِح لنا بالهبوط في الكويت كنت قد تأخرت عن الاجتماع.

*- مؤتمر التخطيط حول مستقبل النمو السكاني عقد في دولة الكويت في مايو 1983 بمشاركة عدد من المسؤولين وأهل الاختصاص، ومنهم: د.سعاد الصباح، د.عبدالله النيباري، حازم الببلاوي، أحمد الدعيج وآخرون

قدّمت اعتذاري الشديد للإخوان عن هذا التأخير الخارج عن إرادتي، وشكرت الأخ الشيخ جابر المبارك الأحمد، وهو من كوكبة الشباب الكويتي الذين نفخر بهم، ونتمنى أن تملأ سماء الكويت الكواكب، فالشباب هو حصن المستقبل وأمله السرمدي..

أستراحة الخميس *

(6)

- البدوية القادمة من المباركية في مدينة تعبت من حضارتها..
- منظمة الإخوة الأعداء تتفق على أسعار الشوكولاته وتختلف على النفط..
- إجازة العالم في الطبيعة وإجازتنا في الأسواق..

*-الوطن 24 / 03 / 1983

عندما يتغير الإنسان.. يتغير وجه الدول

دخلت لندن لأول مرة مع أمي -رحمها الله- وأنا أترك الطفولة خلفي وأضع قدمي على أول سلم الشباب. بهرت بعظمة بريطانيا في أواخر الخمسينيات، فالعلوم والثقافة والمسرح والجامعات والإعلام والأخلاق البريطانية كانت في أوجها.

شعرت، وأنا أتجول في لندن بأنني في المدينة الفاضلة أو في إحدى مدن ديزني الخيالية، وقعت في غرام لندن بعد أن تعرفت على متاحفها وحضارتها، وضيّع فكري سوقها المليء بآلاف آلاف البضائع، وأنا البدوية القادمة من أقصى الخليج، ومن سوق المباركية، وسوق ابن دعيج، ومحلات الجميل وزكريا.

لأيام وأنا تائهة كمن جاء من الصعيد إلى القاهرة للمرة الأولى، أصبحت للندن مكانة خاصة في نفسي، ومضى أكثر من ثلاثين سنة ولندن الباهرة الجمال ماثلة أمام عيني وكأنها اليوم.. وأصبح المرور على لندن تقليداً في رحلة الشتاء والصيف، بعد أن كبرت وبدأت أعرف معنى حضارتها، والتجول في مكتباتها ونسيان النفس على رفوف الكتب، والتعرف على متاحفها، ومسارحها والارتواء من ثقافتها والاتصال بالإنسان الإنجليزي، الذي هو وراء كل هذه العظمة.

وفي كل سنة أكتشف أن لندن صارت أجمل وأرقّ، وأنا سعيدة بصداقتها، وبما أكسب منها من معرفة، إلى أن بدأت السبعينيات، وبدأ الخط البياني للندن

في النزول السريع، حتى إني أتعجب الآن هل هذه هي العاصمة الجميلة المضيافة، المثقفة، المتعلمة المتحضرة النظيفة، التي أعرف؟ أو أن الزمن قد غير وجهها الجميل وانعكس حقد الناس وكراهيته، وتدهوره على ملامح ذلك الوجه وغيره حتى أصبح عجوزاً، متعباً، مرهقاً حقوداً ومعقّداً؟..

إن الإنسان أساس كل حضارة، وعندما يتغير الإنسان إلى الأسوأ تنهار الدول وتضمحل الحضارات.

عدت إلى لندن في أواسط السبعينيات، وأنا في أوج أزمتي النفسية بعد فقدان ولدي، لإتمام دراستي، فرأيت كل شيء فيها مصبوغاً باللون الرمادي، حتى لم أكن أميز بين نفسي الرمادية ولندن المرهقة بالمشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

دخلت الجامعة وأنا في شبه ضياع؛ الجو، الطلبة، الأساتذة، المكتبة.. كل من حولي يصرخ بأني غريبة، وأنا أعيش أشد حالات الاغتراب، ونزيف الغربة في داخلي يحفر وديااناً من الألم وما أقسى أن تكون بعيداً عن أهلك ووطنك، وما أطول الليل والنهار، والصيف والشتاء في ليل لندن الأبدي! بعد زمن من العذاب، كان الكتاب صديقي الوحيد، والمكتبة مكان اللقاء، نجلس طوال ساعات النهار، أنا والكتاب والقاموس نتبادل أرق الكلام، وأحلى المفردات.

مرت الأيام، وعدت إلى وطني وأنا أذكر لندن بكل الخير، رغم كل الظروف التي مررت بها، ورغم قسوة الإنسان الإنجليزي وتكبره وعنجهيته، وأذكر بالخير كل أستاذ ساهم في صقل معلوماتي، وبدأ معي من أول حرف في أبجدية علم الاقتصاد وصاغ أفكاري، وعرفني بكل فروع علم الاقتصاد، وأوصاني بالشرب من كل روافده

شيخة مع وقف التنفيذ

قالت إحداهن: لماذا كل هذه الضجة لسعاد؟ ألأنها «شيخة»؟

استغربت هذا المنطق الجاهل من سيدة مثقفة متعلمة لها دورها في الحياة.. واستغربت أكثر أن يوجد أناس يفكرون بهذا المنطق، واستغربت أيضاً من كلمة شيخة لأننا في الكويت عائلة واحدة تربط بيننا عرى المودة والمحبة، وكل ما أعرفه أنه لا يوجد شيوخ في الكويت بمعنى الشيخة التي تحدثت عنها السيدة، وإنما توجد عائلة الصباح التي عانقت كل العائلات وامتزجت بها وكوّنت كويت العائلة الواحدة.. والكل يعرف أن الكويت هي بلد لا فرق فيه بين «صباحي» وأي فرد آخر..

وأتذكر أنه في أيام زواجي الأولى، أهان أحد أفراد الأسرة رحمه الله أحد الموظفين في المطار، فجاءت الشكوى لزوجي، وكان وقتها نائباً للحاكم ورئيساً للشرطة والأمن العام، فما كان منه إلا أن استدعاه وأدّبه أمام الجميع وأمره أن يذهب للموظف ويعتذر منه، وطلب من الموظف أن يرد الإهانة بمثلها أمام كل من شهد الحادث. وقال له: إننا في الكويت أسرة واحدة لا فرق بين فلان وفلان.

والأمثلة كثيرة على ذلك..

سؤال أحب أن أوجهه للسيدة الجليلة التي مازالت تفكر بعقلية القرون الوسطى: هل كنتُ طوال المدة الماضية «شيخة» مع وقف التنفيذ؟!

الحلم المستحيل

أتحسر كلما عبرت الحدود بين سويسرا وفرنسا، فإشارة من يد المسؤول الجالس في غرفته ونصبح في الأرض الفرنسية

تألمت.. اليوم، وأنا أعبر الحدود وكأني أتجول في بلد واحد، وصدى صوت أحد الأصدقاء مازال يرن في أذني، وهو يكلمني من الكويت إثر عودته من البر، ويحكي لي مشاهداته على الحدود، وكيف أن إحدى النقاط لم تستقبله، وذهب وأهله والأطفال إلى المخفر، وهناك تعرضوا للتفتيش رغم وجود جوازاتهم وأوراق سياراتهم معهم كاملة.. سكاكين الألم تذبحني، وأنا أرى شعوباً متفرقة، يتعاملون كشعب واحد، وشعوباً من دم واحد، ودين واحد، وتاريخ واحد.. وتراث وتقاليد واحدة.. تفرق بينهم آلاف الحواجز، ويزداد عدد الحواجز يومياً بعدد أيام السنة. أرى الاتحاد والوحدة أملاً بعيد المنال، فقد أكون خيالية وأنا أحلم بالوحدة

كتابة على دفاتر الثلج

مجيف القرية المدللة، الراقدة على جبين جبال الألب، استقبلتنا والدموع البيضاء تغطي وجهها الجميل فتزيده جمالاً وإشراقاً وحلاوة. ظلت السماء تبكي دموعاً بيضاء لثلاثة أيام متواصلة، ونحن سعيدون بكرم السماء، نلتحف بالثلج، نلعب به، نبني منه قصوراً وأشخاصاً، ويهدّ أطفالي ما بنيناه وكأن كل أحلامنا تناثرت، وهم حولي يمرحون ويضحكون وأنا لا أتعدّى عمر أصغرهم.

إن جو المدينة الخانق يجعل الإنسان وكأنه يعيش في قفص، فللقرى الصغيرة جمالها وطابعها الذي يفرض على الإنسان العيش على طبيعته من غير تعقيد المدن، والتزاماتها وقيودها الاجتماعية السخيفة، ونحن أهل الخليج، لا نعيش الإجازة بمعناها الصحيح، ففي المدن التي نسافر إليها، ننقل البيت كما هو، ونعود من الإجازة مرهقين من المجاملات، ومن التجول في الأسواق ومن التخمة والإكثار من الطعام والتفنن في تقديمه

إن الإجازة فرصة للمّ شمل العائلة، وغسل النفس من متاعب العمل، والواجبات الاجتماعية، وفرصة للالتصاق بالأولاد أكثر لأن المدرسة تأخذ أكثر ساعات يومهم، والواجبات المدرسية تأخذ الوقت الباقي. فالتعرف

على مشـكلاتهم والغـوص في أعماق نفوسـهم، واللعـب معهـم والتقـرب إليهـم، وتوجيههـم في أيـام الإجـازة يكـون لـه تـأثير أكبر خصوصـاً ونحـن معهـم على مـدار السـاعة، يلعبـون معنـا ويقـرؤون معنـا ويذهبـون إلى المطاعـم ويشـاهدون التلفزيـون معنـا، وإذا مـا جـاء الليـل ينامـون في أحضاننـا وفي بؤبـؤ عيوننـا.. والقمـر في ليـل مجيـف الهـادئ يلفنـا بشراشـفه الفضيـة، وتمتـزج أشـعته بجبـال الألـب المعمَّمـة بالثلـوج، فتسـيل أنهـار الفضـة على السـفوح.

وأنـا أكتـب على وجهـه المضيء أحلى رسـالة عشـق أرسـلها لمـن يحـب الطبيعـة مـثلي، فالإجـازة الحقيقيـة هـي كسر الـروتين اليومـي الثقيـل، والعـودة إلى النفـس، والتجـول في سـاعات اليـوم كما نريـد لا كما يـراد لنـا..

منظمة الإخوة الأعداء

منذ أيام ونحن نعيش اجتماعات «أوبك»، ماذا عملوا؟ وماذا أكلوا؟ وما مصير دول أوبك؟ وما مصير الدول الصناعية؟.. وما مصير دول العالم الثالث؟ إلخ.. الجميع مهتم بأخبار النفط، الغني والفقير، الطالب والفنان، السياسي والاقتصادي، حتى الأطفال في المدارس أصابتهم عدوى «الأوبك» خوفاً على مصروفهم من أن يقل من جهة، وأن تقل قيمته الشرائية من جهة أخرى بارتفاع أسعار الشوكولاته والبيبسي والهمبرغر

عاشت الدول تنتظر حل الأزمة، وبريطانيا تلعب بالأعصاب تدفعها أخواتها الدول الصناعية وعلى رأسها أميركا، يريدون أن يثبتوا أن الحل بأيديهم، وأن سلاح النفط أصبح سلاحاً موجهاً ضد الدول العربية التي أعطتهم الزمام وأصبحت كالتلميذ المُذنِب، وجهه إلى الحائط وعصا الأستاذ تطارده.

مضت الأيام والمناقشات الحامية تدور والبرقيات ترسل، وتلكسات رسائل الإعلام تهتز من كمية الأخبار التي وصلتها، وبعد جلسات متواصلة وافقوا على خفض سعر النفط القياسي خمسة دولارات أميركية، ولأول مرة في تاريخ المنظمة. وفي اليوم الذي تلاه فرضت ضريبة في بريطانيا على البنزين مقدارها 4 بنسات، ومعنى ذلك أن الخزينة البريطانية قد جنت ما مقداره

300 مليـون جنيـه إسترليني، أي أن المواطن الإنجليـزي، وكذلك المواطن في أي دولـة صناعيـة لم يشـعر بالتخفيـض الذي نتج عن اجتماع أوبـك، لأن حكومته تفـرض ضريبـة على المنتجـات البترولية، حتـى تبقـي أسـعارها مرتفعـة بغية ترشـيد الاسـتهلاك، وتضرب عصفوريـن بحجـر؛ فمن ناحية، ترشّـد الاسـتهلاك ومـن ناحيـة أخـرى يكون هناك دخل إضـافي لخزينة الـدول الصناعية، وبذلك تكـون هـذه الـدول هـي المسـتفيدة من تخفيـض أسـعار النفـط، وكأن الدول الصناعيـة هـي التـي تفـرض ضريبـة على نفطنا الـذي هو ملك شـعوبنا

والحقيقـة توجـب علينـا أن ننظـر إلى هـذه النقطـة بتمعُّـن، فبيـنما نحـن –الشـعوب الخليجيـة- لا ندفـع أي ضريبـة للدولـة، نجـد أنفسـنا ملـزمين بدفـع ضريبـة للـدول الصناعيـة وعـن رضـا.. والسـبب قـوة الـدول الصناعيـة أولاً، وعـدم ترابـط أعضـاء «منظمـة الأخـوة الأعـداء» ثانيـاً

سكاكين الفرحة والجهل التي قتلت طفلاً

صديقتي مؤمنة جداً، وصبورة جداً، وعاقلة جداً، وتحب الأطفال جداً.. أصابها صداع نغّص حياتها، فزارت طبيباً متخصصاً، أعطاها دواء تستعمله إذا لم تكن حاملاً.

سعادتها كانت طاغية لدرجة أنها نسيت أن بساتين البرتقال والليمون تتفتح في داخلها، وأن أشجار الحنّاء والياسمين تبعث عطرها الحنون، وأن أنهار العقيق والياقوت اتحدت لتعزف سيمفونية الأمومة، وتذكرت وهي في أوج فرحتها أنها حامل، وأن الحياة تدبّ في أحشائها، وأن عمليات التكوين اللامرئية بدأت تفرض وجودها، وأن تغيرات فيزيولوجية قد طرأت عليها.

هرولت إلى طبيب نسائي تحمل زجاجة الدواء في يدٍ، ودموعها ويأسها وأملها ولهفتها وتمزقها وانكسار أحلامها في اليد الأخرى، وهناك كانت الضربة المميتة، إذ إن هذا الدواء يساعد على الإجهاض.. عادت إلى بيتها وضباب كثيف يغطي ذاكراتها، وجرح في وجدانها، وأنهار مالحة تنساب من مدامعها، تحطم كل زجاجات الدواء التي أمامها وتنثرها على الأرض مع أحلامها..

جلست وحيدة تبكي أملها المتناثر كشظايا الزجاجات المحطمة، وهي تشم رائحة الموت في يديها، وتلعن الصداع الذي كان سبباً في قتل طفلها.. وهكذا اجتمعت سكاكين الفرحة والجهل لتغتال بريئاً.

أستراحة الخميس *

(7)

• عندما تصبح السرقة ذكاء.. والنفاق شجاعة!
• من المسؤول عن «مذبحة الأشجار»؟
• إسرائيل تهجم على آذاننا في مطار عربي!
• صوتي المسجون في علب المعدن.. يصرخ!!

*-الوطن 21 / 4 / 1983

بقعة الزيت تلبس طاقية الإخفاء

بعد أن تلوث فكرنا وثقافتنا وتراثنا بالأفكار الغريبة، وبعد أن تلوثت أخلاقنا بقيم جديدة علينا، حتى أصبح النفاق شجاعة أدبية، والسرقة ذكاء، والوصولية والاتكالية وما في القاموس من صفات غير حميدة هي سمة الدخول للمجتمع

وبعد أن تلوثت سمعتنا الاقتصادية بانهيار سوق المناخ، وأصبحت الحلول كالأسماك المسمومة تطفو على سطح الاقتصاد، وكما انهارت أسعار النفط وأصبح سلاحاً موجهاً ضدنا بعد أن كان سيفاً في أيدينا.

وبعد أن تلوث التراب العربي بأقدام الصهاينة، وهذا أخطر أنواع التلوث، وتلوثت معه كرامتنا العربية التي نعتز بها كعرب، وتلوثت سماؤنا بطائراتهم وهواؤنا بأنفاسهم

وبعد أن تحطمت كل آمال العرب وأمانيهم في متاهات التفرقة والشعوبية والعنصرية، وبعد أن صار الشعب خادماً للسلطة، لا السلطة خادمة للشعب..

بعد كل هذا، ونحن العرب نحمل جراحاتنا في أعماق الوجدان، ونحاول أن نرفع رؤوسنا التي أنهكتها المشكلات والمآسي. جاء دور بقعة الزيت لتلوث هي الأخرى مياهنا، وتضيّق الخناق على أبناء الخليج المساكين،

وتهددهم في مأكلهم ومشربهم، وتشهر خناجر الخوف في وجوههم، وتجعلهم يعيشون في كابوس مخيف.. فكيف يكيّف الفقير حياته وغذاؤه الرئيسي الأسماك ومياه شربه من الحنفية؟ ما مصير هؤلاء المطحونين الذين لا أحد يدافع عنهم ولا أحد يفكر فيهم؟

هل ستدفع لهم الدولة تعويضاً لمواجهة الحياة، أسوة بهوامير سوق المناخ، أم ستمنح الدولة المواطنين تذاكر سفر وإقامة خارج الكويت إلى أن يزول خطر التلوث؟! رغم أن الجهات المسؤولة، بوسائل إعلامها المتناقضة، تكذّب وتصدّق التلوث في الوقت نفسه، حتى بقعة الزيت أصبحت بقدرة قادر تلبس برقعاً بأمر المسؤولين، وتتخفى حتى لا يراها أحد أو يسمع عنها أحد، وكأننا نعيش في غابات الأمازون، وكأن الإعلام العالمي لا يصلنا، وكأن الدول المجاورة لم تحذِّر مواطنيها وتوعّيهم بمخاطر التلوث، وكأن الناس جهلة لا يفقهون.

صدقوني حتى إن ابني الصغير مبارك الذي لا يتعدى عمره السنوات الخمس يسألني عن بقعة الزيت، وعن التلوث، وعن الأسماك، وعن السباحة التي ليس بإمكانه ممارستها هذه السنة! والدولة مازالت تنفي خطر التلوث..

وأنا أتساءل: ماذا بقي لنا لم يتلوث؟!

إسرائيل تهجم على آذاننا

قال لي صديق: ما من مرة مررت بها في مطار دبي إلا والإذاعة المحلية في المطار تذيع أغنية من فيلم «العودة» الإسرائيلي Exodus وهي: «هذه هي أرضي.. التي أعطاني إياها الله»!

قلت: أخشى أن تكون هذه دعوة من الزاحفين من آسيا، بأن أرض الخليج هي أرضهم، وأن الله قد منحهم إياها.. وربما يرددون هذه الأغنية حتى يصدقوها ويصدقها العالم كما صدّق الكذبة الكبرى إسرائيل.. ولكن كيف يُسمَح لأغنية إسرائيلية ممنوعة أن تذاع على مدار الساعة في مطار عربي؟..

ألم أقل لكم إن التلوث لم يستثنِ حتى آذاننا؟!

صوتي المسجون في العلب المعدنية

جاءتني مكالمات عديدة، ورسائل أكثر، من القراء، يسألونني فيها عن عدم إذاعة بعض من أمسياتي الشعرية في البرامج الثقافية في كل من الإذاعة والتلفزيون، أسوة بكثير من الندوات الثقافية التي نقلت، خاصة أن أمسيتي كانت أول أمسية لشاعرة كويتية، وكان لها صدى طيب في جميع الأوساط، ولاقت تشجيعاً وإقبالاً.

ماذا سيكون ردي وصوتي المخنوق في علب المعدن لا يزال في الرقابة يتساءل، كما يتساءل الكثيرون ونحن في بلد الديمقراطية والحرية، ولا سبب؟ لماذا هذا «الحجر الصحي» على قصائدي وهي منشورة في كتب تداولها القراء؟ ومن منع يا ترى عصافيري من الانطلاق؟!

صديقة لي من بلد شقيق، كانت أمسياتها في الوقت نفسه مع أمسياتي، وأذيعت أكثر من مرة وفي أكثر من برنامج هي ذاتها تتساءل عن سبب غياب أمسياتي، لعل هذا يكون من باب الدخول في توثيق الصلات الثقافية مع دول مجلس التعاون الخليجي، وإهمال أبناء بلدنا لأنهم لا يستحقون، ونحن في كل شيء مثل «عين عذاري»، ولعل الكويتي ليس بمصاف الآخرين، ولعلنا في بلدنا لا نلقى التشجيع من أجهزتنا الحكومية، حتى لا يفسر هذا أنه وسام أهدته الدولة إلينا..

شكراً للمسؤولين على هذا الحظر، فإنه زاد الطلب على شرائط التسجيل لأمسياتي أكثر من الإذاعة والتلفزيون، من أعلى مسؤول لأصغر «واحد عنده» واسطة في الإعلام!

ولكن ما ذنب الآخرين الذين يتساءلون وليس لديهم واسطة يستطيعون بها الحصول على شريط تسجيل؟

أما أنا فلن أتوقف عن التغريد حتى لو أقفل فمي بالشمع الأحمر، سأواصل الكتابة بأظفاري، فالكلمة بالنسبة لي صديقة العمر، وهي النافذة التي أطل منها على العالم وأتجول فيه، وأدخل معالمه الجميلة

الكلمة هي الجزيرة التي أرمي فيها همومي كلما ضربتني عواصف الحزن، وأخلو بها إلى عالمي الذاتي وحواري الداخلي.

والكلمة عندي هي البساط الإنساني الأخضر الذي أجلس عليه مع الناس، وأقتسم معهم أفراحي.. وأحزاني.. وآمالي.. وخبزي وابتساماتي و»دموعي»، وأشاركهم أفراحهم.. وآمالهم.. ومشكلاتهم..

والكلمة أيضاً هي عندي ذلك السيف الذهبي القاطع الذي أرفعه في وجه الظلم والظالمين.. وأدافع به عن إخوتي في الإنسانية، وجميع المعذبين في الأرض.

إن الكلمة التي أكتبها ليست حلية أتزين بها، أو مكياجاً أضعه على وجهي، أو ثوباً جميلاً أظهر به أمام الناس، لأن هذه المواقف الاستعراضية لا تعنيني أبداً، وإن ما يعنيني هو الجوهر

إن الكلمة عندي سلاح حق أستعمله لتغيير المجتمع، وهي قضية من أنبل القضايا التي أدافع بها عن حرية الإنسان، وعن كرامته وعن

شرفه.

وفي عالم عربي يتخبط في جراحاته وتناقضاته، وانقساماته وأحزانه، لا بد للكلمة أن تلعب دوراً في إضاءة الطريق وزرع بذور المحبة، وإخراج المواطن العربي من هذا الليل الحالك السواد الذي يتخبط فيه، ومن أولى من الكلمة بإشعال مصابيح الحق؟! فالدفاع عن الإنسانية عندي هو الكحل النادر الذي أحب ألا تخلو عيناي منه، والدفاع عن قضية الإنسان وحريته هو العطر الجميل الذي يطيب لي أن أتعطر به وأزهو، فالإنسان من غير عطر الإنسانية لا يعد من البشر.

أستراحة الخميس *

(8)

• خذوا زجاجة الكلوكوز وأعيدوا إليّ حبر الكتابة!
• لا تسألوا من تغرّب كم يعشق الوطن..
• وألقيت أول مجاديفي استعداداً للإبحار..
• وطني لم يكن يوماً بخيلاً..

*-الوطن 28 / 4 / 1983

أهرب إليك كلما لفني الضياع يا عصفوري الجميل..
يا الذي يغرد على أغصان فكري
يا من ينسج من أهدابي عشاً لينام فيه
ومن شراييني يشرب
وعلى أحداق عيني يتمرى
أحمل أفراحك معي وأزرعها
نجمات مضيئة في شعر العالم
وأحمل أحزانك في داخلي
واقفة كالزوبعة
في وجه بقعة الزيت أطردها
من شطآنك.. التي ما زالت تحمل رسومات أقدامي الصغيرة..
وما زالت آثار قصوري الرملية على صدرك
وحروف اسمي محفورة على صفحة وجهك..

***

وما زلت أشتاق للنوم طفلة على رمالك..
كلما ضربتني عواصف الأحزان!
أهرب لأغسل همومي في مياه بحرك الصافية الزرقاء
وأركض باتجاهك كلما لفني الضياع
وكلما أبكتني الغربة
وكلما هاجرت بعيداً عنك
فأنت يا وطني.. وطن الأوطان وعاصمة العواصم..
وملتقى الأزمان!

بساتين الخير التي أكلناها

لم تنجب أمي بنتاً غيري، ولكن الله الكريم مَنّ علي بأخوات كثيرات، أرسلت لي إحداهن باقة زهور، وكأنها من جبال الألب، ولكن رائحتها أجمل، وألوانها أحلى، لأنها من تربة وطني، وقد كتبت على البطاقة: «أرسل هذه الزهور حتى لا تتهم أرض الكويت بالبخل»..

وتأملت الورود الجميلة جمال وطني، الفواحة العطر ككويتي، وبدأت حواراً مع النفس أرد الاتهام عن وطني. فوطني لم يكن يوماً بخيلاً، فمنذ أواخر الأربعينيات بدأ كرم الأرض المتواضع فكسا البلد الخير.. وازداد الكرم حتى أصبح إسرافاً، ونحن ننظر إلى هذه النعمة وكأنها نعمة دائمة، نستنزف من باطن الأرض ذهبها الأسود، ولا نفكر في المستقبل!

إن الفترة من أواخر الأربعينيات حتى منتصف الستينيات كانت من أهم الفترات، خصصت أساساً لبناء مؤسسات الدولة وبدء برامج التنمية، وكان من أول المشاريع تشييد مستشفى، ومبنى الأمن العام، ثم قامت سلسلة كبيرة من: المشاريع، المستشفيات، المدارس، الطرق، محطات المياه، محطات توليد الطاقة، الموانئ، المساكن، والمنشآت الطبية.. وكانت يد عبد الله المبارك تغرس أشجار الوطن.. شجرة

شـجرة

ونمـا كل مـن قطاعـي التجـارة والخدمـات، وظلـت الصناعـة مهملـة، وكل المـوارد موجهـة للاسـتثمار السريـع، وكلنـا ثقـة بـأن الأيـام سـتبقى تنتظرنـا حتـى نبنـي اقتصادنـا ونعـوض النزيـف الهـادر مـن الأرض

أكثر مـن ربـع قـرن مضى، والأرض كريمـة لدرجـة الإسراف، ونحـن مسرفـون في الاسـتهلاك لدرجـة الجنـون، وكأن العـالم سـيقف ويهدينـا المصانـع والقطـاع الـداخلي غير النفطـي، عندمـا تتعـب الأرض مـن حملهـا وتتوقـف عـن العطـاء.

يـا أختـي، لم تكـن أرض الكويـت يومـاً بخيلـة، ولكـن «أعطتنـا مـالاً ولم نحسـن إدارتـه»، وقفـة مـع النفـس ومراجعـة أخطـاء الماضي بعدهـا سنرى طريـق المسـتقبل مشرقـاً وواضحـاً

خذوا الكلوكوز وأعيدوا إليّ حبر الكتابة

هـا أنـا ذا تحـت الإقامـة الجبريـة في سريـري، بعـد أن أرهقـت جسـدي إرهاقـاً غير معقـول، سـفراً، والتزامـات، ومجـاملات، وتجـولاً ومؤتمـرات علميـة.

وأخيراً بعـد عـودتي مـن مؤتمـر في لنـدن عـن النفـط أدخلتنـي «القرحـة» في تجربـة الصلـب على سريـري أسـبوعاً كاملاً ومـا زالـت، وعرفـت معانـاة المصلـوبين، وعرفـت معنـى أن توضـع ذراعـي في الإقامـة الجبريـة، وتبقـى معلقـة، ومربوطـة بأنبـوب زجاجـة الكلوكـوز طـوال الليـل والنهـار!

ولمـدة أسـبوع كامـل، ومازالـت ذراعـي معلقـة كغصـن شـجرة يابـس بأنبـوب مطاطـي ينتهـي بزجاجـة الكلوكـوز، ولمـدة أسـبوع أخـذوا منـي ذراعـي إلى المنفـى وحرمـوني نعمـة الإيمـاء والكتابـة.

وربمـا كانـت تسـليتي الوحيـدة خلال فترة الاعتقـال الطويلـة هـذه، هـي مراقبـة هـذه القطـرات اللؤلؤيـة الصافيـة التـي تتدحـرج كحبـات المطـر الربيعيـة، لتبعـث في جـذوري مـاء الحيـاة.

وكانـت غرفتـي خلال إقامتـي الجبريـة حديقـة محبـة، فـأولادي الصغـار كانـوا يتحلقـون حـولي كباقـة نجـوم، وعيونهم السـوداء تشـتعل خوفـاً وقلقاً وحنانـاً.. وأبوهـم شـجرة سـنديان باسـقة تظللنـي، وتـرش عطـر الحـب

والحنان والمحبة، وفي غمرة انشغاله وخوفه علي يطلب مني زوجي أن أتوقف عن الكتابة ويساري مربوطة بزجاجة الكلوكوز، ويميني عاجزة عن رسم كلمات الشكر على الورق لأحباب شاركوني ضعفي وقوتي.. وهو لا يعرف أن الكتابة هي إيقاع حياتي ومبرر وجودي، وهي ملتصقة بي كما تاريخ ميلادي واسمي ولون عيني، ومن ذا الذي يستطيع أن يغير تاريخ ميلاده واسمه ولون عينيه؟! وفي ساعات المرض وحدها يحس الكاتب بهذا الرباط الإنساني العميق الذي يشده إلى قرّائه، وليست الورود وبطاقات الاستفسار التي تصل الكاتب سوى أوسمة من لحم ودم ومحبة تعلّق على صدره المتعب.

إنني أشعر أن هذه الأزهار التي تحيط بي عبارة عن أيدٍ حنونة تمتدّ إليّ لتعانقني، وتجذبني من سريري نحو الشمس والصحة والهواء الطلق، وما رنين الهاتف الذي يغسلني بأمطار المحبة سوى عقود ياسمين يزهو بها عنقي.

إن كل وردة أراها أمامي هي قبلة دافئة يطبعها العالم على جبيني، وكل زهرة هي عبارة عن رسالة حب يحملها إليّ ساعي البريد ويضعها على وسادتي البيضاء.

هذا هو التعويض العظيم الذي يتلقاه الإنسان، ولا يوجد في الدنيا ثروة أعظم من هذه الثروة الإنسانية!

نقوش على جدار المنفى

سنون طويلة وسياط الغربة تجلدني.. وأنا بعيدة عن وطني.. ولا يعرف الشوق إلا من يكابده، ولا نار الغربة إلا من يعانيها.

قد يشعر الإنسان بالاغتراب وهو في وطنه، وهذا أقسى أنواع الاغتراب، فآلامه النفسية المبرحة أصعب من أن توصف، وما أكثر المغتربين في أوطاننا العربية!

أما الاغتراب وأنت بعيد عن وطنك، عن كل الذكريات، عن أرض تودّ أن تشم رائحتها، وأنت بعيدٌ آلاف الأميال، وأنت تدرك أن مدة اغترابك ستطول، فهي ليست رحلة تستطيع أن تحدد مدتها، وتحاول أن تقطف اليوم أجمل ساعاته.. ولكنه اغتراب مقرون بمسؤولية تجاه النفس والضمير، ومقرون بتحقيق أمنية طالما حلمت بها، وسافرت وتغربت من أجلها، وهذا هو نوع اغترابي وعذابي، فكلما طلع عليّ نور الصباح، وأنا أنظر صفحة السماء أسترجع مع المجهول سنوات عمري منذ كنت طفلة، أنتظر الإجازة الصيفية لأذهب إلى حضن جدتي لأبي موضي الجراح الصباح، وأنام على صدرها الحنون وهي تحملني معها كل سنة إلى البصرة، إلى بساتيننا في «الزين» حيث شط العرب يشق أرضنا، وعلى الضفة الأخرى المحمرَّة الأرض العربية

هنـاك كانـت طفولتـي الهانئـة الهادئـة البسـيطة المسـتقرة، وأنـا آمنـة تحـت جناحـي جـدتي التـي كنـت أحبهـا لدرجـة كـبيرة، والتـي ورثـت عنهـا أكثر صفـاتي، اسـتمتعت بطفولتـي البريئـة وأنـا أعيـش في بسـاطة مـع أطفـال الـفلاحين أشـاركهم أكلهـم، ولعبهـم في ظلال شـجرة النخيـل، نجلـس السـاعات على "البِرْكـة"، نعمـل مـن طينهـا بيوتـاً ولعبـاً وأواني نضعهـا في الشـمس كي تجـف، ونحـزن عليهـا حين تتحطـم وتتناثـر على الأرض، ونقيـم الولائـم داخـل البيـوت الطينيـة الصـغيرة، فنقطـف الرطـب والطماطـم والخيـار والفواكـه، ونضعهـا في الأطبـاق التـي صنعناهـا، ثـم نـأكل مـا مـنّ اللـه علينـا بـه مـن خير دون أن نغسـله أو نفكـر إن كان يحمـل ميكروبـات أو جراثيـم، وكـم مـن ذبابـة شـاركتنا أفراحنـا ونحـن سـعيدون بالوليمـة، وإذا مـا انتهينـا ذهبنـا نسـبح في الترعـة التـي في داخـل حديقتنـا، ونلـمّ منهـا ثمـر المانجـو المتسـاقط، ونحـن فرحـون بمـا جمعنـاه مـن ثمـرات صفـراء كالذهـب، ثـم يضـع كل منـا نصيبـه في أطـراف جلبابـه، ويهـرول عائـداً إلى منزلـه يحمـل الكنـز الأصفـر.

وإذا مـا جـاء الليـل جلسـت الفلاحـات حـول جـدتي الجليلـة، وكل واحـدة منهـن تقـص قصـة شـيقة، وأنـا أفترش الأرض وأتكـوم في حضنهـا، فـإذا مـا نمـت حملـوني إلى فـراشي.

وتنـقضي الأيـام والليـالي سريعـة، وتـأتي سـاعات الـوداع والعـودة إلى المـدارس، والفلاحـون الطيبـون يبكـون الـعِشْرة، وأنـا أبكي أيامـاً جميلـة قضيتهـا بينهـم، وأبكي الوفـاء والحـب والإخلاص.

وهكـذا يمضي ليـل الغربـة الطويـل، وأنـا وحـدي أسـتعيد الذكريـات وأرى

نـفسي شـابة في منطقـة "أم صِـدّة"*، ومـن حـولي بنـات عمـي وصديقـاتي ونحـن تحـت شـجرة السـدر في بيتنـا تلفنـا الحيـاة البسـيطة، نتسـامر وكل واحـدة منـا تقـص علينـا أحلامهـا الورديـة وآمالهـا العريضـة أو أمانيهـا المسـتحيلة، وتمـر الأيـام وتفرقنـا، ونـكبر وتـكبر معنـا همومنـا ومسـؤولياتنا وتتعقـد، وإذ لـكل منـا بيـت وزوج وأطفـال، وتبقـى ذكـرى أيـام الطفولـة والشـباب تراودنـا بـكل براءتهـا وأحلامهـا الجميلـة.

وتمـر الأيـام والليـالي، ومـا لي زاد في غربتـي إلا اجترار ذكريـات وطنـي بـكل تفاصيلهـا الصـغيرة والكبيرة..

فلا تسألوا من تغرب كم يحب الوطن..

ولا تسألوا من تغرب كم يعشق الوطن..

ولا تسألوا من تغرب ما مذاق الاغتراب عن الوطن..

ولا تسألوني كيف يغوص في القلب خنجر الغربة.

*- حيّ "فريج" كويتي يقع في جنوب منطقة المرقاب.

مواجهة الجماهير

مواجهة الجماهير شيء رهيب، قبل أن أترك البيت أخذت حبة ڤاليوم، ودعوت لمن اخترع هذا المهدئ العجيب الذي يريحنا من عذاباتنا في ساعات الفرح، وفي ساعات الألم، وما أكثرها في عالمنا العربي المتخم بالآلام، والجراحات..

طوال الطريق وأنا أقرأ ما تيسر من آيات الله، وهذه عادة لازمتني كلما ركبت سيارة أو طائرة أو أويت إلى فراشي..

دخلت القاعة والإيمان يملأ صدري.. وضجيج القاعة يكتم أنفاسي.. والدقائق تزحف، والمواجهة تقترب.. وكأني أدخل امتحاناً لأول مرة، وما أكثر الامتحانات التي واجهتني.

جلست على المنصة ووجدت الوجوه الحبيبة الرؤومة الحنونة تحيط بي من كل جانب، وابتسامات التشجيع ترسم على الشفاه أجمل باقات الزهور، وكأني أعرف كل الوجوه المبسوطة أمامي منذ ولدت، وكأني لعبت معهم وأنا طفلة، وشاركتهم أفراحهم.. فجاؤوا اليوم يشاركونني أفراحي!

شعرت برهبة هزتني للوهلة الأولى، ثم ماتت وولد مكانها حب جارف للجميع، فكل واحد، أو واحدة، هو وطني كويتي، هذا الحب

المشتعل في داخلي، شدتني الابتسامات من بحر تأملاتي وخوفي للإبحار إلى شاطئ الأمان، وألقيت أول مجاذيفي استعداداً للإبحار، وكانت مقدمة نثرية وضعت فيها كل صراحتي وتمزُّقي كعربية لما يحصل في أوطاننا العربية، وحَمّلت الصحافة والشعر المسؤولية لإنقاذ الأمة من هجمة المقاولين، وبائعي الكلمة، وبائعي الضمير والأوطان، ولما وجدت التجاوب، بدأ الثاليوم يفقد مفعوله ويحل محله ثاليوم آخر.. هو التقدير وإحساس الناس بالكلمة الجميلة والصورة المنتقاة، وصرت أقرأ وأقرأ وأنا أسبح في بحور العيون السود اللا نهائية، إلى أن وصلت إلى قطعة بعنوان «في طائرة الموت»، بدأت أقرؤها وصوتي يتهدج، ودموعي ساخنة تملأ فمي، وأنا أقاومها بكل الإيمان والكبرياء.. وصورة ولدي كنز حياتي وهو بين يدي مستسلم للموت، وأنا بين يدي ربي مستسلمة للحزن، وأصارع اليأس بالأمل، والموت بالحياة، وهزة اليقين بالإيمان!!

وما إن انتهيت حتى رأيت الناس حولي يبكون حزني وفجيعتي، وأنا صامدة ونفسي من الداخل تمطر دماً ودمعاً وألماً.

أستراحة الخميس *

(9)

• أتوسل إليكم أن تنتشلوا كرامتنا من الوحل.
• هل موت الأطفال.. برجوازية أيها السيد؟
• من الأجنة يصنعون مساحيق التجميل!

*-الوطن 26 / 5 / 1983

لبنان الحزين.. يبحث عن عبد المعين

لبنـان يُضرب بالـعصيّ منـذ ثمـاني سـنوات.. والعـرب يعُـدُّون الـعصيَّ.. والمثـل الشـعبي يقـول: ليـس الـذي يـأكُل الـعصي كالـذي يعدُّهـا..

جسـد لبنـان مُـوَشَّى بالطعنات والرصـاص والصواريـخ والقنابـل العنقودية.. والعـرب يمطرونـه بالمواعـظ والنصائح وقصائد الشـعر..

لبنـان مثـل حصـان شـدُّوا جسـده إلى سـيارتين، واحـدة تشـدُّه إلى البحـر والثانيـة تشـده إلى الصحـراء. وإذا اسـتمرت عمليـة الشـد، فسـيذهب رأس الحصـان إلى ناحيـة وجسـده إلى ناحيـة.

لبنـان بين خيارين أحلاهما مـر، فإمـا أن تبقـى ثلاثـة أربـاع أرضـه تحـت الاسـتعمار الإسرائـيلي بانتظـار أهـل النخـوة والشـهامة لغسـل عـاره، وإما أن يعقـد اتفاقيـة أمـن تخلِّصـه مـن المئة ألـف جنـدي إسرائيلي الذين يحبسـون أنفاسـه.. لقـاء تقديم بعـض التنازلات التـي لابد للضعيـف أن يقدمها للقوي.

إننـي لا أشـك بـأن الاتفاقيـة بشـكل عـام مهينـة للبنـان وللعـرب، ولكـن اسـتمرار الاحـتلال الإسرائـيلي هـو أيضـاً مـهين.

إن لبنان عانى كثيراً من خصومات العرب واقتتالهم وتصفية حساباتهم فوق أرضه، وهو اليوم يعاني من مواعظهم ودروسهم في الأخلاق وعلم السلوك.

إن الاتفاقية اللبنانية الإسرائيلية هي ثمرة الضعف العربي.. والتمزق العربي.. والتآكل العربي، فلو كان العرب أقوياء وموحّدي الكلمة لما استفردت أميركا وإسرائيل بلبنان وساقته كالخروف الصغير إلى مائدة المفاوضات

إن العرب مسؤولون بنسبة ثمانين بالمئة عن صلب لبنان.. والمطلوب منهم الآن أن ينزلوه عن صليبه، لا أن يزيدوا عدد المسامير في جسده

لبنان لا يستحق منا كل هذا التعذيب.. فإذا لم نستطع أن نضمّد جراحه.. فلنتركه ينزع أشواكه بيديه.. فهو ليس قاصراً، ولا متخلفاً، ولا خائناً، ولكنه سيئ الحظ

إذا كان العرب لا يستطيعون أن يساعدوا أنفسهم فكيف يساعدون لبنان؟

وإذا كان عبد المعين العربي هارباً من الجندية ومتوارياً عن الأنظار.. فمن سيعين هذا البلد المنكوب؟

وإلى متى سيبقى عبد المعين العربي متوارياً عن الأنظار؟!

وإذا كان كل واحد من العرب يغني على ليلاه، فمن سيخلص ليلى اللبنانية من مغتصبيها؟!

وإلى متى سيبقى كل مسؤول يغني على ليلاه؟!

«ما في حدا لا تندهي ما في حدا»..

لا كلام يختصر المأساة اللبنانية أكثر من كلام فيروز..

أتوسل إليكم أن تنتشلوا كرامتنا من الوحل.. وأن تمحوا عن جباهنا آثار المهانة..

مقالة نقدية.. أم حرب طبقية

عندما يعلن ناقد ما حرباً طبقية وعنصرية على كاتب آخر، فإنه يضع نفسه بصورة تلقائية إلى جانب دعاة العرقية والتفرقة العنصرية في روديسيا وجنوب أفريقيا..

أقول هذا بعدما قرأت النقد العجيب الذي وجهه إليّ في استراحة الخميس الماضي أحد النقاد الذين تخرجوا على ما يبدو في مدرسة (ابن سميث).

وديننا الحنيف لا يفضل عربياً على أعجمي إلا بالتقوى، فكيف لأخينا هذا أن يرسم الحواجز بين الفرد و إنسانيته، وعواطفه، ويسلبها من طبقة معينة في المجتمع، ويمنحها لأخرى؟ وكأنه بذلك يملك صكوك الغفران!..

والحمد لله أننا في الكويت نشكل مجتمعاً متوازناً ومتكافئاً ومعافى، لا يعاني من صراع الطبقات، ولا يعرف معنى للحقد الطبقي أو الفئوي، وليس في الكويت على حد ما أعلم طبقة تسمى سكّان القصور.. وطبقة تسمى سكان العشيش.. إلا في ذهن هذا الناقد الكريم.. فالسيد المذكور يصرّ على أن يعطي المعاناة أبعاداً طبقية، فيجعل المعاناة وقفاً على الفقير دون الغني، وعلى أصحاب الدم الأحمر.. دون أصحاب الدم الأزرق، وأنا من بينهم، وعلى سكان العشيش دون سكان القصور وربما -استطراداً- على الأسود دون الأبيض.. وعلى الأفريقي دون الأوروبي.. وهذا منطق

مهـزوز حقـاً، لأنـه يجعل الدمـع لا ينزل إلا من عيـون طبقة معينـة.. والحزن والفجيعـة والوجـع الإنسـاني احتـكاراً لفئـة محـدودة مـن الـبشر.. والمعانـاة الإنسـانية مرتبطـة بالرصيـد المصرفي والدخل الفردي. وعلى ذكـر المعاناة أذكّر السـيد المـحترم أن أبـا فـراس الحمـداني كان أميراً ولم يمنعـه لقبـه مـن صياغـة أحزانـه شـعراً.. واللـورد بايـرون كان مـن البرجوازيـة الإنجليزيـة ولم تمنعـه طبقتـه مـن التعاطـف مـع الفكـر الثـوري. وأمير الشـعراء أحمد شـوقي عاش في قصر الخديـوي إسماعيـل ولم تمنعـه «سـكنى الـقصر» مـن أن يشـارك الأمة العربيـة آمالهـا وأحزانها.

ثـم إن السـيد المذكـور قـد ألغـى بضربـة قلـم الجهـاز العصبـي لقطـاع واسـع مـن مجتمعنـا، هـذا القطـاع في نظـره لا يحـق لـه أن يفـرح.. أو يحـزن أو يحـب.. أو يشـتاق.. أو يسـافر.. أو يتـذوق أي منظـر جميـل.. أو أن يسـجّل انطباعاتـه اليوميـة عما رأى أو سـمع خلال تجوالـه في أرض الـبشر

ويبـدو أن الأخ لم يقـرأ شـيئاً مـن أعمال «سـانت إكسـيبري» و«رحلات جليفـر» و«ابـن بطوطـة» و«سـندباد»، ولا يعـرف شـيئاً عـن أدب الـرحلات في الأدب العـربي والآداب العالميـة.

أمـا فكـرة «البرج العاجـي» ففكـرة قديمـة جـداً، اسـتعملها بعـض الكتّـاب منـذ خمـسين عامـاً، وسـقطت مـن الاسـتعمال نهائيـاً في الـعصر الحديـث، بعدمـا ثبـت أن البرج العاجـي خرافـة غير ممكنـة التطبيـق، وأن الكاتـب لا يسـتطيع حين يكتـب إلا أن يكـون متورطـاً في قضايـا مجتمعـه، وملتزمـاً بقـوانين التاريـخ وقـوانين الأرض

حتـى اللغـة التـي يكتـب بهـا الكاتـب هـي إفـراز اجتماعـي، ولا يمكـن لأي

لغة أن تبقى في برجها العاجي، وإلا اختنقت..

ألم يكن أسهل لي أيها الأخ الكريم أن أجلس في «برجي العاجي» -كما أسميته- كسولة أتسلى بالتفاهات، وألا أتحمل مشاق رحلة العلم وأنا زوجة وأم، ابتدأت من الثانوية إلى الحصول على أعلى الدرجات العلمية، ومن لندن بالذات؟!

يكفيني فخراً أن أكون أول كويتية تبدأ هذا المشوار الطويل وهي زوجة وأم وتكمل طريقها إلى مرافئ المعرفة.. وتكون أول كويتية تحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد.

ألا تعتبر الإبحار في محيطات العلم والكفاح للحصول على درجة علمية معاناة؟

أما معاناتي مع أولادي ووطني وأحزاني.. فلا أدري لماذا يتضايق منها السيد المذكور ويعتبرها ترفاً أو برجوازية!

هل حرام على «سيدة القصر» -حسب تعبير الأخ الكريم- أن تكون زوجاً وأماً وأن تنجب أطفالاً وأن تكتب عن شؤونهم وشجونهم؟

هل الأمومة برجوازية أيها السيد؟ هل إنجاب الأطفال برجوازية أيها السيد؟ هل موت الأطفال برجوازية أيها السيد؟

ماذا تعرف عن موت الأطفال؟! هل هناك حادث أكثر مأساوية من أن يحتضر ولدك على ذراعيك لمدة ساعتين، وأنت محبوس، أنت والموت وولدك في طائرة يطغى صوت محركاتها على صرخاتك؟

طبعاً.. أنا لا أتمنى لك ولا لأي إنسان في الدنيا أن يمر بتجربتي الدامية.. وأن ينزف كما نزفت.. وأن يصلب كما صلبت.. ولكنني أطلب منك على

الأقل أن تحترم جراح الآخرين ومعاناتهم..

اليتم هل هو برجوازية.. أيها السيد؟ ولماذا تمنعني من حرية البكاء، وتضع الخطوط الحمراء على نزيفي الداخلي لموت أمي وأبي.. وكأنني حسب نظريتك لست ببشر.. ولا يحق لي أن أحزن لأنني غنية؟

هل حب الوطن برجوازية.. أيها السيد؟ هل جربت مرارة الغربة لأكثر من ثلاثة عشر عاماً متصلة؟ وهل هناك وجع وجودي وقومي ونفسي أكثر من أن ينفصل الإنسان روحاً وجسداً عن ملاعب صباه؟..

أنت تعرف أن الأدب المهجري قام أساساً على واقعة الحنين إلى الوطن، وكذلك ما كتبه الشعراء الأندلسيون يوم قُدّر لهم أن يرتحلوا عن الوطن الضائع، وكذلك الشعر الفلسطيني في أيامنا هذه، أليست هذه النماذج تجسيداً لفكرة الغربة التي أحرقتني سياطها.. وعذّبتني مناماتها، محرّمة على أمثالي الراحة، وكأن الوطن ليس ملكاً للجميع؟..

ثم إنك تقترح عليّ تكفيراً عن «برجوازيتي» أن أبني المدارس والمستشفيات، وأخفف معاناة الآخرين..

كلامك هذا يكشف أنك لا تعرف شيئاً عني، ولم أكن أنتظر الأمر منك لأقوم بواجبي الإنساني، فإن داعي الضمير عندي أقوى من كل الدعوات..

لا يعنيني كثيراً أو قليلاً أن أعطيك نبذة عن تاريخ حياتي.. فما أفعله هو بيني وبين خالقي.. ولا يهمني العبد إذا كنت أسعى بعملي للخالق..

وأخيراً أيها السيد، لا أدري لماذا أنت غاضب، ولا أدري مما أنت غاضب؟!

إذا كانت الكتابة الذاتية تزعجك.. فإن كل كتابة تبدأ بذات الكاتب، وتلتقي بعد ذلك بذوات الآخرين. أي أن الكتابة تبدأ بالخاص وتنتهي

بالعـام.. وهـذه مـن بديهيـات الكتابـة.

وإذا كانـت معانـاتي لا ترضيـك فهـي على الأقـل معانـاتي أنـا، وأحاسـيسي أنـا.. وآمـالي وأحـزاني ورؤيـاي أنـا.. ولا يمكـن لأي كاتـب أن يكتـب بمعانـاة منقولـة عـن الآخريـن..

وإذا كان عشـقي للكويـت وحنينـي إليهـا.. وارتباطـي ببحرهـا وشمسـها وكواكبهـا يضايقـك.. فإننـي آسـفة، لأننـي لا أسـتشير أحـداً في شـؤوني العاطفيـة والقوميـة..

وإذا كنـت أيهـا السـيد، ممـن يتابعـون الحركـة الفكريـة في الكويـت فأنـا أحيلـك إلى كتبـي وإلى مقـالاتي المنشـورة، ومحـاضراتي التـي ألقيتهـا في مؤتمـرات اقتصاديـة عقـدت في الكويـت وفي الخـارج، وكنـت فيهـا مـن الـداعين بشـدة إلى فـرض الضرائـب على ذوي الدخـول الكـبيرة وتعويـض ذوي الدخـل المحـدود، ولي محـاضرات ومقـالات أدعـو فيهـا إلى ضرورة منـح الجنسـية لقـوات الجيـش والأمـن وأبنـاء الباديـة والعـرب المقيـمين، وإلى بنـاء الاقتصـاد الكويتـي على أسـاس العـدل والمسـاواة..

وكل هـذه المواقـف تدحـض ادعـاءك في أننـي لم أوظّـف علمـي لخدمـة الصالـح العـام وبنـاء المجتمع، وحسـبي أنني لا أزال في سـنتي العملية الأولى..

وبعـد، فقـد كنـت أتمنـى أن يكـون بعـض مثقفينـا قد تحـرر مـن القاموس العتيـق في تقييـم الكتابـة والكتّـاب على أسـاس لـون الدم وفصيلتـه، وتخلص مـن «عقـدة» الطبقـة.. أو اللـون.. أو الجنـس في أعمالـه النقدية..

لكـن مـا قرأتـه على لسـان هـذا السـيد أعطـاني الشـعور بـأن بعـض نقدنـا لا يـزال يشرب مـن منابـع التفرقـة العنصريـة

قُتِل الإنسان ما أكفره

تتوقف شاحنة ضخمة على الحدود السويسرية – الفرنسية.. لم يفهم موظفو نقطة الحدود الفرنسية العبارة التي تشرح نوع الحمولة..

يطلبون من طبيب فحصها، فإذا به يكتشف أن الشحنة هي مئات من الأجنّة البشرية المجمّدة، انتزعت حية من أحشاء أمهاتها لتصدَّر إلى مختبرات فرنسية في مدينتي بوردو وليون، بعضها تابع لشركات لمستحضرات التجميل وبعضها لمختبرات طبية.

إن عملية تجارة الأجنّة أصبحت تجارة مربحة، وتستخدم لأسباب عسكرية - علمية من قبل الأميركيين، وتستورد الأجنة من كوريا الجنوبية إلى مختبرات الجيش الأميركي في ولاية ماريلاند، حيث تجرى التجارب عليها، كما تجرى دراسات اختبار القنبلة فوق الصوتية والأسلحة الجرثومية.

وهكذا امتدت يد الشر إلى رحم المرأة، وإلى أعز ما تملك الأم، ألا وهو طفلها، وتحت ضغط الحاجة المادية أصبحت هذه الشركات تتاجر بالأجنة، وتحقق مكاسب مالية ضخمة.

وأما ثمن الجنين فلا يتعدى 25 دولاراً، ومقابل هذه الدولارات يتاجر مَيّتو الضمائر بأرواح بشرية، ويتم استئصال الجنين حياً من رحم أمه،

ويكـون عمـره بين 12 و22 أسـبوعاً، ثـم يجمـد كاللحـوم المثلجـة

ويســتخدم الجــنين مــن قبــل مخــتبرات التجميــل الفرنســية، وذلــك باســتئصال بعــض المــواد مــن أعضائــه، حيــث تمــزج بمــواد كيميائيــة.

وهكــذا تآمــر الطــب والعلــم وتجــار الــجمال على فلــذات الأكبــاد.. ومازالــت النســاء يؤمــنّ بمســتحضرات التجميــل..

ألم تفكــر إحداهــن مــن أي المــواد تصنــع هــذه المســتحضرات؟! وإلى متــى يتاجــر الإنســان بأخيــه الإنســان حيــاً أو ميتــاً؟! وأي عــالم هــذا الــذي نعيشــه؟..

أفي الغابــة تنتــزع بعــض الحيوانــات أجنــة غيرهــا مــن الحيوانــات لتتزيــن بهــا؟!

حتــى في الغابــة لم يحــدث أن حيوانــاً أســتأصل جــنين حيــوان آخــر ليحولــه إلى مســحوق للتجميــل

الحرية عندنا.. والحرية عندهم

تطالعنا الصحف البريطانية ووسائل الإعلام كل يوم بأخبار الانتخابات، بعد أن قررت مارغريت تاتشر رئيسة الوزراء العودة إلى الشعب البريطاني طالبة تجديد الثقة بحكمها، وذلك قبل عام من انقضاء المدة القانونية، وبدأت معركتها السياسية بعد أن أبلغت الملكة بقرارها.

وفي ظل من الحرية السياسية والفكرية واحترام رأي الفرد وتقديس الحريات الشخصية وكرامة الإنسان، تقوم الانتخابات البريطانية التي تعتبر أن الحرية جزء لا يتجزأ من النظام البريطاني، فالمواطن، سواء كان غنياً أم فقيراً، يعتبر صوته الانتخابي حقاً له لا يشاركه فيه أحد، يمارسه بكل الحرص وبمنتهى السرية، وذلك نابع من حرية الرأي والتعبير عن الذات، تلك الحرية الواعية الملتزمة.. والأحزاب الثلاثة: المحافظون، والعمّال، وتحالف "الأحرار والاشتراكيون الديمقراطيون".. يقدمون برامجهم الانتخابية التي تتناول أدق التفاصيل، والساسة والمرشحون في حالة استعداد دائم للإجابة على كل التساؤلات.. والعائلة البريطانية تختفي تماماً عن الأنظار..

وعلى الرغم من حدة المعركة فإنها تدور بروح رياضية ومناخ يحترم الرأي والرأي المضاد، فالحقيقة هناك تظهر من احتكاك الآراء لا من

قمعها، والصحف تغطي أخبار الانتخابات بكل حرية، فلا خوف من مصادرة أو قطع أصابع.. أو أي نوع من الإرهاب، وأجهزة الإعلام والأمن لا تتحزب أو تتعصب للحزب الحاكم أو غيره، ولاسيما التلفزيون الذي يوضع تحت تصرف جميع المتنافسين، وفي هذا الجو من الحرية نجد أن برنامج حزب المحافظين ينادي بمزيد من الحرية.. إذ إن تزايد سلطة نقابات العمال من ناحية، وتدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية من ناحية أخرى، قد أفرزا سلبيات منها الحد من حرية الفرد في العمل والإنفاق والاستثمار، مما أدى إلى ارتفاع البطالة وقتل الحوافز وارتفاع الأسعار وانخفاض الدخل. ومن ثم فإن إعادة البناء الاقتصادي يبدأ من الفرد، ويعتمد على دعم حريته في اتخاذ القرار

مع كل هذا القدر الكبير من الحرية.. يطالبون بالمزيد.. وفي مجتمع يعتمد على الفرد ويقدِّس حقه وحريته.. يطالبون بمجتمع يعطي دوراً أكبر لهذا الفرد..

متى ينال يا ترى الإنسان العربي الحد الأدنى من الحرية قبل أن يطلب المزيد؟!

أما المواطن العربي قليل الحظ، المحاصر ليلاً ونهاراً، فإنه لا يطالب بحرية معادلة للحرية البريطانية، فهذا ضرب من المستحيل

إن كل ما يطالب به المواطن العربي هو: حرية الصراخ دون أن يصادروا حنجرته. وحرية البكاء دون أن يصادروا دموعه.. وحرية الموت دون أن يصادروا قبره..

استراحة الخميس *

(10)

• مازالت "صبرا وشاتيلا" تطالب بالثأر.
• أمل دنقل لم يصالحه السرطان فصالح الموت.
• في زمن الجمعيات.. نطالب بجمعية مكافحة النفاق.

*-الوطن 9 / 6 / 1983

عام مر على كربلاء بيروت

عـام مـر على «كـربلاء بيروت» بـكل أبعـاده وزوايـاه، ومـازال الـدم يصرخ على أرض صبرا وشـاتيلا، ومـا زالـت الجثـث تطالـب بالثـأر، ومازلنـا نحـن العـرب نغـط في نومـة الكهـوف، ولا نعـرف أي مخـدر نتعاطـاه هـذا الـذي فصـل جهازنـا العصبـي وأحاسيسـنا عـن أجسـادنا حتـى أصبحنـا كالدمـى في أيـدي السـلطة، مكممـي الأفـواه مسـلوبي الإرادة.. مـاذا حـدث لنـا والشـارع العـربي صامـت صمـت الأمـوات، ومـا أقربنـا مـن الأمـوات ونحـن أحيـاء يقتطـع الإسرائـيلي مـن لحمنـا كل يـوم قطعـة ونحـن مشـدوهون لا نتكلـم.. لا ننطـق.. لا نـعترض.. نشـم رائحـة الشـواء ولا نتحـرك وكأن الأرض لا تعنينـا، وكأن مـا يحـدث لإخـوان لنـا لا يهمنـا، فقـد غرقنـا في تفاهـات الحيـاة ونسـينا مـاذا يعنـي لنـا لبنـان والجـولان وغـزة والضفـة الغربيـة، وأهـم مـن ذلـك المسـجد الأقصى

كلمات عرفان للجندي المجهول

طالبني بعض الأصدقاء منذ فترة بعدم الكتابة في استراحة الخميس، وكانت حجتهم أنني يجب ألا أتورط، وأن أتفرغ لكتاباتي العلمية، وأتخلى -إن كتبت- عن الذات، وكلي ثقة أن طلبهم هذا صادر عن حبهم. ولكنني عندما راجعت نفسي وجدت أن الكتابة بحد ذاتها هي التورط، وأنني في كتاباتي العلمية لم أقصّر بل يدفعني الأدب للكتابة في الاقتصاد أولاً وثانياً. إنني سعيت لعلم الاقتصاد وتخصصت فيه، أما الأدب فكان هبة من خالقي، فكيف أرفض نعمة أسبغها الله عليّ.. أما أن أتخلى عن الذات، فكيف تكون الكتابة وهي تبدأ بذات الكاتب وتنتهي بالعام، ومتى كانت هناك سدود وفواصل بين الخاص والعام؟ ولكن الحقيقة أن الناس لم يتعودوا على امرأة تكتب بصراحة وصدق مبتعدة عن النفاق الاجتماعي، واضعة كل أوراقها أمام القارئ، من غير مواربة، فلا ألبس عباءة وأتوارى خلفها لأكتب، ولا أضع مكياجاً يغيّر من معالم وجهي، ولا أتستر وراء اسم مستعار.. فلذلك، أنا أكتب من غير قناع، أكتب الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة.. وإن كان نقدي البنّاء قد يوجع البعض، ولكنني أتوخى المصلحة العامة، قبل أي اعتبار.. ونحمد الله أننا هنا لا نزال نكتب، ففي أوطان عربية أخرى أصبحت الكتابة الحرة في مستوى الكفر، وقد يتغاضون عن الكفر، ولكنهم لا يتركون

كلمة حرة تولد.. نحمد الله أننا نستطيع أن نصرخ على الورق، وفي بلاد أخرى كتموا الأنفاس وأمموا الحناجر.

في ظل شجيرات الورق أتمدّد تحت شمس الكلمات، وأترك خيولي تصهل في براريها، وتنهل من ينابيعها، وأطلق عصافيري حرة تلعب مع الحروف، وتلتقي مع أصدقائي القراء الذين أصبحت صلتي الروحية بهم حميمة جداً. فكيف أتخلى يا ترى عن أصدقائي ورسائلهم يحملها بريدي اليومي ورداً ومحبة، وبساتين حنان، يطالبونني بالمزيد؟! وتزيدني سروراً تلك الرسائل التي تأتيني من أماكن بعيدة، فمثلاً من دول عربية ومن أوروبا الشرقية جاءتني رسائل تطالب بالمزيد. ففي الغربة يحتاج الإنسان إلى قراءة ما حرم منه في بلده الأصلي وتغرّب من أجله.. كم هو رائع أن تختصر صحفنا المسافات وتعرّفنا بقراء بعيدين عنا.

لا أستطيع أن أتخلى عن نفسي، فالقلم هو نفسي، ولدنا منذ أربعين سنة، ورضعنا معاً وشربنا حليب الكارنيشن معاً، وركضنا حفاة الأقدام، وسبحنا في البحر، وبنينا قصور الرمال.. وكتبنا على سطح القمر المنعكس على شط العرب، معاً.. كان القلم يشاركني صباحي المدرسي، ويجلس معي ويقاسمني شوربة العدس وساندويتش اللبنة بالزعتر وزجاجة الكوكاكولا.. كنت ألجأ إليه عندما يصعب علي درس، أو تعاتبني أمي، أو تقسو علي الأيام.. وعندما كبرت كان رفيق أحلامي وكاتم أسراري وصندوق أماناتي.. وعندما خفق قلبي بالحب كان هو الوسيط، وعندما منّ الله علي بالزواج كان هو الرفيق.. فكيف أكسر يا ترى كل تاريخ حياتي؟! فمنذ أربعين سنة وهو لي نعم الصديق لم يتألم يوماً. ففي اليتم كان معي.. وفي الثكل كان معي.. وفي الغربة كان معي.. وفي الفرحة كان

معـي، وفي قمـة أحـزاني.. وفي انكسـار أحلامـي القوميـة كان معـي يلملـم دموعـي.. فهـو الجنـدي المجهـول في حيـاتي.. فكيـف يطلـب منـي يـا تـرى أن أدفــن الجنــدي، وأن أضــع على قبره وردة حمــراء وهــو لا يــزال حيــاً يقبّلنـي على جبينـي مـع أطفـالي كل صبـاح.. ويظهـر لي مـن عيـون قهـوتي الصباحيـة، ومـن ثغـر الجرائـد اليوميـة.. ومـن أصابعـي التـي تدلّلـه كل صبـاح ومسـاء؟! فكيـف أخونـه يـا تـرى وأعلّقـه على حبـل المشـنقة مـن غير ذنــب ارتكبــه! وكيــف أخنــق طـفلاً يتنفــس في داخلي، ويتغــذى على مشـاعري ويلعـب الكـرة في أوردتي؟..

الاستنفار العام في البيوت

مَـرّ الشـهر والاسـتنفار العـام في البيـوت في أقصى درجاتـه، فالشـفاه لا تـكاد تتكلـم حتـى يصرخ الطلبـة المشـدودة أعصابهـم ويأمرونـا بالسـكوت.. قلوبنـا كانـت مربوطـة بخيـوط حريريـة.. وأفكارنـا مشـدودة معهـم، لا يكاد الهاتـف يـرن حتـى يغـرق البيـت في حالـة مـن السـكوت التـام.. فالطالـب يذاكـر دروسـه عبر الهاتـف.. والأمهـات تنازلـن عـن ثرثرتهـن النسـائية اليوميـة لفلـذات الأكبـاد.. وتوظفـن عـاملات للشـاي والقهـوة طـوال النهـار والليـل.. وتمضي أيـام الامتحانـات والبيـوت في الكويـت في حالـة مـن عـدم الاسـتقرار.. والخـوف والقلـق يسـيطران على النفـوس.. والأعلام المرفوعـة على أسـطح المنـازل تنـذر القـوم بدخـول جيـش الامتحانـات.. والطلبـة مستسـلمون لغـارات الكتـب.. وقنابـل الأسـئلة الموقوتـة التـي تأتيهـم مـن كل صـوب وحـدب، فتهـز ثقتهـم بمـا درسـوه.. وتمضي الأيـام وينسـحب الجيـش يومـاً بعـد يـوم، ويعـود الـسلام يرفـرف على البيـوت وتهـدأ النفـوس وتسـتغرق العيـون في نومـة عميقـة هانئـة.. ويبـدأ الأسـبوع الأول للإجـازة، ويبـدأ معـه الملـل والضجـر وتبـدأ الأسـئلة التقليديـة: مـاذا نعمـل؟ كيـف نـقضي يومنـا؟! وتنتهـي الإجـازة ولا كتـب قرأناهـا واسـتفدنا بهـا.. ولا عمـل قتلنـا بـه الفـراغ وخدمنـا وطننـا.. هـل نحتـاج إجـازة مـن الإجـازة، أم نحتاج إلى دورات مكثفـة تعلمنـا كيـف نسـتثمر الوقـت الضائـع؟!

جمعية مكافحة النفاق..

تنتشر الجمعيات في طول البلاد وعرضها، فمنها الثقافية ومنها العلمية ومنها الفكرية ومنها الدينية ومنها الصحية مثل مكافحة السرطان ومكافحة التدخين.. إلخ. ومع كل تقديري لمجهودات تلك الجمعيات، لكن لا توجد هناك أي جمعية لمكافحة أمراض المجتمع المستشرية، فهناك أمراض ظهرت في المجتمع وقتلت قيماً كنا نباهي العالم بها.. أمراض أصبحت تفرض وجودها، وتدخل علينا من الأبواب والنوافذ، وهي من أخطر الأنواع، ومكافحتها تحتاج لجند مؤمنين بالرسالة.. ونحن جميعاً مطالبون بتأسيس هذه الجمعية والانضمام لها، ألا وهي «جمعية مكافحة النفاق»، وأن يمتد نطاق عملها ليغطي الوطن العربي ليستقيم المجتمع ويظهر الصالح من الطالح..

لا تصالح

أمل دنقل لم يصالحه مرض السرطان الخبيث، وظل يجاهد في طرده سنوات عديدة، فقرر مصالحة الموت والإقامة في الهدوء بعيداً عن واقع عربي مرير نتخبط في جراحاته وتهزنا مآسيه.

رحل أمل دنقل وهو في الثالثة والأربعين من العمر، فهو من جيل حمل آمالاً كباراً، وعاش ليرى هذه الآمال تتناثر كالطحين بين الأشواك، مشنوقة من أعناقها معلقة بين السماء والأرض، جاحظة العينين، زرقاء الوجه، مقطوعة اللسان

ومن دواوينه الستة أفتح مجموعة «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة»، وأقرأ:

أسأل يا زرقاء عن فمك الياقوت

عن نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع وهو لا يزال

ممسكاً بالراية المنكسة..

عن صور الأطفال في الخوذات

ملقاة على الصحراء..

عن جاري الذي يهم بارتشاف الماء

فتثقب الرصاصة رأسه في لحظة الملامسة

أسأل يا زرقاء عن وقفتي العزلاء

بين السيف والجدار..

وقد اشتهر أمل دنقل باستلهام القصص الشعبية القديمة كقصة زرقاء اليمامة، وتغريبة بني هلال، ومنها استعار بعضاً من كلمات وصية كليب، وهو يحتضر، لأخيه الزير، بأن لا يصالح القتلة، ويذكّره فيها بالوقوف إلى جانب الحق.. وقد استشف بعد عام 1973 ما سيحدث، وكتب قصيدته الشهيرة «لا تصالح»، وكانت فيها دعوة مباشرة إلى عدم الصلح مع إسرائيل.

ومن مجموعاته أيضاً «تعليق على ما حدث»، «مقتل القمر» و«أحاديث في غرفة مغلقة».. وله تحت الطبع مجموعة شعرية كتبها خلال المرض سمّاها «أوراق الغرفة رقم 8».

كانت عند أمل دنقل القدرة على جذب الانتباه لما يقول، وقد استطاع أن يعبِّر عما في نفسه وعما يدور حوله من هموم وطنه الكبير بشفافية الشاعر، وحرص الراصد لما يجري من أحداث، والشاعر الحقيقي هو ذلك الشاعر الذي يصور ما يدور في مجتمعه وعالمه وانعكاس ذلك عليه، ثم اقتلعت رياح الموت العاتية أحد الشعراء الذين تركوا بصماتهم على فترة من حياتنا..

وآخر كلماته: «المرض زادني قوة ورسوخاً وواقعية، جعلني أستقبل الموت ببرودة أعصاب وصلابة لا مثيل لهما.. فأنا الآن أكثر هدوءاً وأكثر إحساساً بموضوعية الأشياء».

رحم الله أمل دنقل..

أستراحة الخميس *

(11)

• في ذكرى أكثر الغائبين حضوراً تحترق الخرائط..
• السفينة العربية تبحر إلى الخلف!!
• أهرب من سياط الحزن إلى بيت الطالبات الكويتيات..
• هل نحن بشر كبقية البشر.. أم أننا من الحزن أتينا وإليه نعود؟..

*-الوطن 20 / 10 / 1983

ذكرى عبد الناصر الخضراء.. في هذه الأيام السوداء

سنوات وأنا أذهب لموعدي.. ألبس فستاني الأسود، وأحمل حقيبتي السوداء.. يحملني الحزن في طرقات مصر الجديدة ويعربش كالأشجار المجنونة داخلي.. ويجعل فمي امتداداً للبحر الميت..

سنوات طويلة وأنا وفية لموعد اللقاء.. أذهب كل مَشرق 28 سبتمبر، إلى البيت الذي تبارك بوجود سيّده..

أذهب وأنا أعلم أنني سأدخل بحر السواد.. ولكن يبقى هاجس مسيطر علي، بأنني سألقاه، على عادته، يستقبلنا..

وأدخل البيت وتستقبلني عيناه السوداوان اللتان طالما أبحرتْ فيهما عزّةٌ وكرامةٌ..

وتطل عليّ عيناه الكبيرتان اللتان طالما كانتا أشرعة تأخذنا إلى المستقبل الأخضر..

تردد الأرض إيقاعات خطواته، وتنتحب الجدران عند سماع رنين صوته..

إنه الغائب الحاضر.. الموجود في ضمائرنا دائماً.. المحفور في وجداننا على مر الأيام.. والمنقوش على سنوات عمرنا..

وأفيق من ذهولي، وأنا جالسة كعادتي على الكنبة الكبيرة قرب السيدة

حرمه في الصالون الذي سُجِّل فيه جزء مهم من تاريخنا الحديث..

تتساقط السنوات كأوراق الخريف سنة بعد سنة.. والناس في الصالون الكبير تتساقط.. وأرى الصالون الذي كان دافئاً بأنفاس الكثيرين يرتعش برداً من قلة الوفاء.. تكاد لوحاته البسيطة المسمّرة على الجدران تتكلم..

معدودات هن اللواتي بقين على العهد.. ووجوه أخرى غيّبها الموت، فتخلفت عن الموعد.. وبقي كرسي أم كلثوم الإنسانة خالياً في الصالون الكبير.

لم أتخلف من موعدي سنوات، إلى أن جاء يوم شديد العتمة، حرموني فيه من ثدي أمي.. وانتزعوني منها بالقوة.. ووضعوا بيني وبينها أسواراً شائكة، وغرسوا في لحمي السكاكين.. أبعدوني عن أمي مصر.. وحاولوا فطامي.. أربع سنوات وأنا جالسة على شرفة السماء أبكي أمي كل يوم.. وأسأل الوهاب: متى سأعود إلى صدرها مرة ثانية؟.. وهل سيمتد العمر حتى ألقاها.. وهل سأعود إليها.. وألبس شالاً من ضوء قمرها، وأكحل عينيّ بنيلها؟.. وهل.. وهل؟..

أربع سنوات عجاف لم أفِ بموعدي.. ولم أذهب للقاء الأحبة في بيت الوفاء.. إلى أن جاء يوم 28 سبتمبر السنة الماضية، فتوجهنا من جنيف إلى بيت القائد الكبير، لنعيش في ظل الرجل العملاق الذي علمنا أبجدية العروبة..

وإذا بالقاهرة هي القاهرة.. وإذا النيل هو النيل.. وإذا الشعب المصري الطيب هو ذلك الشعب الذي عرفناه منذ آلاف السنين..

ذهبت من المطار رأساً إلى الصالون الكبير، وإذا بعدد الحاضرين قد ازداد بعد أن انكسرت في داخلهم عقدة الخوف..

وأخذتني أفكاري بعيداً إلى قبل اثنتي عشرة سنة، عندما كنت أجلس وزوجي في صالون بيتنا مع بعض الضيوف، نتحدث عن عبد الناصر وإنجازاته في تلك الليلة، وكيف استطاع أن يجمع شمل العرب، وكيف استطاع بحكمته أن يهذب النفوس، ويحقن الدماء العربية، وقطع رنين الهاتف حديثنا، ردّ زوجي على المتكلم، وإذا بصوته مخنوقاً بالعبارات، يرمي السماعة من يديه، فأسرعت حتى أعرف الخبر.. وإذا بالسيد صلاح الشاهد يخبرنا بأن سيف العروبة قد انكسر..

يذهب زوجي إلى حيث يرقد العملاق في (قصر القبة)، وأهرول أنا إلى سيارتي المجنونة، وإذا بشوارع القاهرة رغم النور حالكة الظلام، وإذا بالناس مذهولون يكلمون أنفسهم كالمجانين، ونفسي المضطربة بآلاف الأفكار تشدني إلى القعر.

أهرب من سياط الحزن إلى بيت الطالبات الكويتيات في الدقّي.. فهن حزانى مثلي.. ويتامى مثلي.. وأقف عند الباب.. وإذا بالعمارة يسكنها الظلام، وإذا بالأبواب المقفلة تصفعني.. وأصرخ في صمت: سهام.. سهام أين أنت؟ أريد أن أبكي على صدر حنون.. أريد أن تختلط دموعي بدموع الملايين الملتاعة، أريد أن تكذبي عليّ ولو لمرة واحدة، وتقولي لي إن ما سمعته كان كذباً.. وإن الزعيم سيخطب غداً.. وإن الزعيم سيفي بكل وعوده.. ويحقق أحلام الملايين..

ويأتي الصباح، وإذا بالموت يشكل حواسنا، ويتحرك بيننا، ونهرول إلى

شرفة فندق الهيلتون لنلقي نظرة الوداع على قائدنا، وإذا بالشوارع مرصوفة بالناس، وإذا بأعمدة الكهرباء تنصهر من حرارة الأنفاس، ونحن على الشرفة نطل على الأمواج البشرية، ومن خلال دموعنا نرى الجثمان يقترب بصعوبة، يخترق القلوب التي طالما أحبته، ويمسح الدموع عن عيون طالما أسعدها

ويبتعد الموكب قليلاً عن مجلس الثورة، وإذا بالرئيس السادات والسيد علي صبري يسقطان في يدي زوجي، فيطلب من الرئيس النميري أن يساعده حتى يعود بهما إلى مجلس قيادة الثورة.. ويقوم الدكتور محمد عطية والدكتور مراد الشريف بإسعافهما، ويكمل الموكب تقدمه، ويتشتت الملوك والرؤساء من شدة اندفاع الناس..

ونذهب إلى الكلية الفنية العسكرية لنطل من نوافذها على حبيبنا وهو يُستقبل في العالم الآخر.. بينما القائد يودعنا الوداع الأخير..

ويذهب الرجال إلى قصر القبة.. وفي الصالونات يبدأ توزيع الأدوار وتبدأ الرواية.. وزوجي على أحد الكراسي يبكي صديق العمر.. وزينة الرجال..

رحمك الله يا زعيمنا.. رحمك الله يا رمحاً عربياً دخلت في ضمائرنا ولم تخرج.. رحمك الله.. فقد حاول الجهلة أن يرموك بالحجارة فارتدت عليهم.. حاول القتلة أن يصلبوك.. حاول الأقزام أن يصنعوا من أخطائك مسامير يصلبونك بها.. فصلبوا أنفسهم..

وفي هذه الأيام العربية التي تتكسر على بعضها كأعواد القش.. وتتفجر كفقاقيع الصابون، يتألق وجه عبد الناصر العظيم في هذا

الـظلام الكثيـف الـذي يلـف الأرض العربيـة مـن المحيـط إلى الخليـج.. كشرارة مضيئـة..

وفي زمـن التناثـر نتذكـر الرجـل الـذي جمـع شـملنا.. وفي زمـن الهـوان نتذكـر الرجـل الـذي علمنـا الكرامـة والكبريـاء.. وفي زمـن السـقوط نتذكـر الرجـل الـذي رفـع رأس العـرب.. وفي زمـن اليـأس الكـبير نتذكـر الرجـل الـذي أعطانـا الأمـل الكـبير.. وفي زمـن ملـوك الطوائـف نتذكـر الرجـل الـذي كان ضـد الإقليميـة.. والطائفيـة.. والشـعوبية..

وفي هـذه الأيـام المغرقـة في انفصالياتهـا نتذكـر الرجـل الـذي مـات في ذكـرى الوحـدة، وفي هـذه الأيـام العجائبيـة التي يُحاصَر فيها الفلسـطينيون، وتُضرَب الثـورة الفلسـطينية بالمدافـع والصواريـخ العربيـة، نتذكـر الرجـل الـذي مـات وهـو يحـاول الدفـاع عـن حـق الفلسـطينيين بالبقـاء..

في هـذه اللحظـات الخـطيرة التـي تهـدد التاريـخ العـربي كلـه.. والإنسـان العـربي.. والوجـود العـربي.. أتسـاءل هـل بوسـع عبـد النـاصر، لـو أتى مـرة ثانيـة، أن يصلـح مـا أفسـده الدهـر؟.. هـل عنـده حقنـة سـحرية تعيـد العـالم إلى شـبابه.. أم أن مليـون عطـار لا يسـتطيعون أن يفعلـوا لعـرب هـذه الأيـام شـيئاً؟..

لماذا تلح صورة عبد الناصر على خيالي في هذه الأيام؟

لماذا يلتمـع وجهـه في العتمـة، كمنـارة في ليـل الضائـعين والغـارقين.. والمكسـورة مراكبهـم وأحلامهـم؟.

لماذا أشـعر بغيابـه الكـبير.. في هـذا الكرنفال القومي السـخيف.. السـخيف الـذي تتناطـح فيـه الـثيران.. وحيـث تتصـارع الديـوك.. وتقفـز فيـه القـرود

على كـراسي السـلطة.. وتلتـف خراطيـم الأفيـال حـول أعنـاق المتفـرجين؟..

إن السفينة العربية تبحر إلى الخلف مستسلمة للقدر وألطاف "ماكفرلين".. وقبطانهـا مجنـون.. وبحارتها سـكارى، والركاب يكتبون وصاياهم.. والأسـطول الأميركي السـادس ينتظـر على الشـواطئ اللبنانيـة.. اللحظـة الدراماتيكيـة لانتشـال الجثث..

إننـي أشـعر بأننـي مـع مئـة وخمـسين مليـون عـربي محـاصرون على ظهـر سـفينة.. بلا قطـرة مـاء.. ولا قطعـة خبـز.. ولا كسرة أمـل..

في رأسي دوار، وفي حلقـي يتراكـم الملـح، وفي صـدري جبـال مـن خيبـات الأمـل.. والمـرارات.. ورغـم كل هـذه الفـوضى الضاربـة على ظهـر السـفينة العربيـة.. ورغـم مئـات الثقـوب المفتوحـة في بطنهـا.. ورغـم خناقـات البحـارة التـي لا تنتهـي.. وسـكر القبطـان الـذي لا ينتهـي..

ورغـم احتراق الخرائـط القديمـة.. وانكسـار البوصلـة.. وتعـب الآلات.. فلا أزال أتطلـع إلى الأفـق البعيـد.. بانتظـار مركـب عجائبـي يقـف في مقدمتـه جمال عبـد النـاصر.. يـقترب مـن سـفينتنا التـي شـارفت على الغـرق.. حـاملاً إلينـا الماء والخبـز ومصابيـح الأمـل

حقائب الفرح الكاذبة

عاد ألوف السيَّاح العرب من الشواطئ والجبال والمنتجعات الأوروبية.. بعدما أكلوا.. وشربوا.. وسبحوا.. ورقصوا وملؤوا حقائبهم بالمشتريات.. وتصوروا أنهم قضوا إجازة صيفية مثالية.

ولكن هل هناك إجازة صيفية مثالية لعربي؟..

هل يمكن للعربي أن يصطاف كغيره من البشر؟.. ويستمتع كغيره من البشر؟.. وينسى كغيره من البشر؟..

سؤال صغير خطر ببالي، وأنا أرى الطائرات الحبلى بالرجال والنساء والأطفال العرب تضع حملها على مدرجات المطارات العربية..

ثلاثة أشهر من الهروب من خريطة الهموم العربية.. ثم تستيقظ الذاكرة على وجعها بمجرد أن ترتطم عجلات الطائرة بأرض المطار.. يتبخر الفرح الكاذب.. ويزول فعل المخدر.. وترجع حليمة إلى عادتها القديمة.. تصطدم أعين المسافرين بعناوين الجرائد العربية بمجرد أن يدخلوا باب الطائرة.. ويبدأ مسلسل الكرب.. والرعب.. والضرب والقتل المجاني.. والانتحارات الجماعية.. ويعرف المسافر أنه وصل إلى أرض الوطن قبل أن يصل إليها.. ويعرف من رائحة البارود وصوت القذائف.. وعويل الرصاص أنه هبط هبوطاً اضطرارياً من السماء السابعة.. إلى جهنم

الألـف..

كل شـعوب الدنيـا تصطـاف وتضحـك.. وتشـم الهـواء، أما العـربي فمكتوب عليـه ألّا يشـم إلا رائحـة الـدم.. واللحـم الـبشري المحترق..

كل شـعوب العـالم تسـبح على الشـواطئ وتسـتلقي على الرمـل.. أمـا العربي فيسـبح في دموعـه.. ويسـتلقي كالهنـدي على فـراش من مسـامير الألم..

لماذا يذهــب الأوروبيــون ويتزحلقــون على الثلــج.. ويذهــب العــرب إلى جبـال الألـب فيـحترق الثلـج تحـت أقدامهـم؟!

هل نحن بشر كبقية البشر.. أم أننا من الحزن أتينا وإليه نعود؟..

حكاية يابانية

طاكيو تاناكا يعتبر من أقوى الشخصيات في اليابان، لم يتمتع أحد منذ الحرب العالمية الثانية كما يتمتع تاناكا بالشعبية، ولم يثر أحد غيره من جدل كما أثير حول شخصه. فهو يختلف عن كل الشخصيات السياسية في اليابان، لأنه ينحدر من أسرة فقيرة. فهو ابن مزارع، ولا يحمل الشهادات العلمية العليا مثل رؤساء الوزراء السابقين، ولكنه يحمل الشهادة الابتدائية. وقد نجح بفضل نشاطه وذاكرته الخارقة، ودبلوماسيته التي مكنته من تحقيق الكثير، منها تطبيع العلاقات مع الصين دون المساس بالعلاقات اليابانية - التايوانية.

وكان يطلق عليه «صانع الملوك وجنرال الظل»، ويقال إن رؤساء الحكومات الأربع الأخيرة يدينون له بفضل وصولهم إلى مناصبهم، وكان يلعب دوراً كبيراً في صناعة القرارات السياسية الكبرى، وكان يستقبل رجال السياسة ونجوم المجتمع في منزله كل عام.. وله منزلة خاصة لدى حكام الصين، فهم يحرصون على زيارته عندما يقومون بزيارة اليابان..

هذا الوجه السياسي المشهور جداً، وذو الشعبية الكبيرة وصاحب القرار، وصانع الرؤساء، والمتحكم بالسياسة اليابانية.. يحاكم لتقاضيه

رشـوة تبلـغ مليـوني دولار مـن شركـة لوكهيـد، وقـد اتُّهم بأنه أسـاء اسـتغلال سـلطته لتسـيير شراء طائـرات تريسـتار عندمـا كان يتـولى رئاسـة الـوزراء بين عامـي 1972 و1974

وهكـذا يحاكـم الحاكـم في الـدول الحـرة وفي الأنظمـة الديمقراطيـة الحقيقيـة، ولا يكـون هنـاك حاكـم ومحكـوم، وإنمـا الـكل في ظـل القانـون سـواء.. فلا هـذا ابـن فلان ولا ذاك ابـن علان..

ذكرتني هذه الحادثة بحكم العرب العادل في عصورهم الذهبية..

يـا تـرى، كـم بقـي لنـا مـن القيـم العربيـة ومـن المبـادئ ونحـن نـرى التجـاوزات تمـر مـن تحـت أعيننـا كل يـوم آلاف المـرات.. حتـى أصبحـت الرشـوة هـي جـواز المـرور لأي عمـل، وأصبحـت النزاهـة عملـة قديمـة لا تُصرف؟!

في عالمنـا العـربي ألبسـوا الرشـوة ثيابـاً جديـدة، وأطلقـوا عليهـا أسماء جديـدة.. وأدخلوهـا الشرعيـة..

هـل مـن حاكـم عـربي يملـك الشـجاعة ويحاكـم المرتـشين كما يحـدث في الـدول المتقدمـة؟ أم أن هنـاك قناعـة بـأن المحاكمـة قـد تجـر وراءهـا كلاب الحاكـم وحاشـيته ويهتـز الكـرسي، ويـطير الصولجـان؟!

مسـكين هـو تانـاكا، مـن أجـل مليـونين مـن الـدولارات حوكـم وصـدر عليـه الحكـم بالسـجن لمـدة أربـع سـنوات.. آه لـو توجـد عدالـة في عالمنـا العـربي، إذن لسـجن أصحـاب الحـل والربـط في أمتنـا.. حتـى يـوم القيامـة..

صلّـوا مـن أجله.. فالمرتشـون في أوطاننا يأكلـون اللحم البـشري.. ويتجولون في سـيارات الرولـز رايـس.. ولا يجرؤ أحـد على أن يتغزل بكحـل عيونهم

أستراحة الخميس *

(12)

- الكتابة مغامرة مجنونة.. وصدام مع تماسيح العصر العربي.
- لا أحد يدرك أن نيران بيروت ستصل إلى عباءته!
- عندما تنتقم دموع المظلومين من دموع الظالمين!
- لماذا يستمر الكاتب العربي في لعبة الخداع؟

*-الوطن 17 / 11 / 1983

الكتابة هذه المهمة المستحيلة

كتّابنا الكبار الذين كانوا يظهرون كل أسبوع على صفحات المجلات العربية التي تصدر في لندن وباريس بدؤوا يغيبون واحداً بعد الآخر.

وإذا كانت الأعذار الظاهرية أو الدبلوماسية التي يقدمونها لقرائهم هي حقهم بالإجازة السنوية أو حقهم باستراحة المحارب، فإن تلك الأعذار السطحية لا تقنع أحداً من القراء مهما بلغت به السذاجة.

فلماذا يكذب رؤساء التحرير على قرائهم، ويدّعون أن الكاتب الكبير متغيب لعذر صحي.. أو إداري.. ولا يقولون إنه متغيب لأن اللغة التي يكتب بها فقدت مدلولها.. ولأن الكتابات السياسية أصبحت نوعاً من العبث.. والضحك على الذقون؟

لماذا لا يقول الكاتب إنه وصل إلى الطريق المسدود.. ولم يعد بإمكانه أن يقول شيئاً في هذا الخراب الهائل الذي يتراكم فوق الأرض العربية؟.. لماذا لا يعترف الكاتب أمام الجماهير العربية التي تطالبه بإضاءة الطريق، بأنه هو نفسه يتخبط في ظلام دامس، وأنه لا يستطيع أن يشعل عود كبريت واحداً.. في السراب اللانهائي العتمة؟

إن الكتابة قبل كل شيء هي ميثاق شرف مع الناس ومع الآخرين، فلماذا يستمر بعض كتابنا في علك جلود اللغة.. واجترار مفرداتها السياسية..

والاستمرار في اللغو والثرثرة.. في سبيل ملء صفحتهم الأسبوعية؟ ولا سيما إذا كان الكاتب لا يملك رؤية سياسية جديدة.. ويخلط ملعقة من «الموند» بملعقة من «الغارديان» بملعقة من «التايم» بملعقة من «النيوزويك»، ويدّعي أن ما يقدمه هو كوكتيل عربي..

ثم إذا كان الكاتب العربي ممنوعاً -كما نعرف جميعاً- من قول الحقيقة في عصر لا يسمح له ولا يتساهل معه بقول الحقيقة، فلماذا يستمر الكاتب في لعبة الخداع هذه؟

ولماذا يبقى مصراً على الكلام، بعدما فرضت الأنظمة العربية حصاراً على الكلام.. باعتباره خطراً على الأمن القومي؟

إن الكتابة لا تقبل القسمة على اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة، وإلا تحولت إلى نوع من السمسرة والمزايدة اللغوية.

الكتابة كل لا يتجزأ، فهي تمارَس بكاملها أو تترك بكاملها، والكاتب الذي يمسك العصا من منتصفها.. ويجمع في يده الماء والنار.. والمعارضة والموالاة.. ويكتب على طريقة «ما يطلبه الحاكمون» هو سمسار كتابة.. وليس كاتباً..

لهذا، نرجو ممن تعلمنا على أيديهم فنّ الكتابة أن يملكوا الشجاعة الأدبية كي يقولوا لنا إنهم مقموعون.. ومطاردون، ومهددون بالتصفية الجسدية.. إذا هم جاهروا بقول الحقيقة في مواجهة الحاكم العربي..

أما القول بأنهم مستريحون.. أو تعبانون.. أو مرضى.. أو في إجازة طويلة.. فكلام مرفوض من أساسه لأن الكتابة هي مغامرة مجنونة، وصدام مع تماسيح العصر العربي، وليست نزهة على ضفاف بحيرة ليمان.

ألا تشمّون رائحة الحريق؟

العالم العربي واقف على سجادة من نار.. والسجادة تحترق تحته خيطاً.. خيطاً.. وهو لا يرى الحريق ولا يشم رائحته..

حتى البحر في لبنان والخليج يحترق، ولا يزال العربي مقتنعاً أن الماء لا يحترق.. فالعربي مثل نيرون، يُحب أن يتفرج على روما، أو على بغداد، أو على بيروت، وهي تحترق، ولكنه لا يصدق أن النار يمكن أن تصل ذات يوم إلى عباءته..

حتى بيادر الحنطة، وحقول القمح، وأشجار النخيل، تحترق.. ولا نصدق أن أشجار البرتقال تحترق، حتى رأينا كيف أكلت النار بيارات يافا..

حتى المدارس، والكتب، وعيون الأطفال، وأقلامهم، ومراييلهم وابتساماتهم ومستقبلهم تحترق، ولا يزال الآباء يظنون أن الرائحة تأتي من الجيران..

حتى الإنسان يحترق على نار الفحم، ونار الإرهاب، ونار الحكم الفردي، ولا أحد يشم رائحة اللحم البشري المحترق..

حتى الثقافة تحترق على حطب الجاهلية الجديدة، والرجعية الجديدة، والوثنية الجديدة، ولا يزال مثقفونا يقولون لك إن الذي يحترق هو

الحلاج، أو سقراط، أو المعري..

حتى الحريات الخاصة والعامة تحترق في الأفران العالية، والسجون العالية، وتشوى كقطعة من البفتيك في أقبية المخابرات، ولا يزال مفكرونا وأدباؤنا يقولون لك: إن الطقس بديع.. والنسيم عليل..

حتى الأوراق المالية، والسندات تحترق، والاقتصاد يحترق، والصناعة والتجارة وبرامج التنمية تحترق، ولا يزال الاقتصاديون في بلادنا يؤكدون لك أن الاقتصاد سليم مئة بالمئة.. وأن النفط سائل لا يحترق، وأنه مستمر التدفق إلى أبد الآبدين..

هل يمكن أن يكون الإنسان العربي مصفّحاً من رأسه إلى قدميه، ضد أخطار الحريق، وأخطار الشيخوخة القومية، والشيخوخة النفسية والسياسية، وأخطار الإمبراطورية الإسرائيلية التي تأكل كل يوم لقمة من الجسد العربي.. حتى صار بينها وبين منابع النفط أمتار معدودة؟

إن ما يجري في لبنان درس كبير للذين يعتقدون أنهم يقطنون فوق حاملة طائرات لا تحترق.. ولا تغرق.. ولا يجرفها طوفان نوح..

لبنان دفع غالياً ثمن الفلسفة التي تقول إن قوة لبنان هي في ضعفه، وبالغ كثيراً في تضخيم بالون الليبرالية حتى انفجر بين يديه.

إن لبنان شرارة تطير في كل الاتجاهات.. وعلى عقلاء العرب أن يحترسوا، وينتبهوا، قبل أن تحترق الغابة كلها شجرة.. شجرة

يا هلا.. بالكتاب

تستقبل الكويت في بدايات شهر نوفمبر ضيفاً من أعظم الضيوف، وأكثرهم عراقة، وحضارة، وحسباً، ونسباً، وعلماً..

ذلك الضيف هو الكتاب.. هو ضيف خفيف الظلّ، رقيق الحاشية، يحمل إلينا كل عام أزهار المعرفة ويضيء شموع العقل، ويجعل حياتنا أخصب، وأيامنا أغنى، وعواطفنا أكثر اخضراراً..

وما أحوجنا في هذا الزمن العربي المالح، اليابس، إلى كتاب نسند إليه رؤوسنا المتعبة، ونشرب من حروفه المضيئة بعدما قتلنا العطش، ونهرب معه من رتابة أيامنا المتشابهة، وقسوة حياتنا الاستهلاكية، وروتين أعمالنا المكتبية، إلى الشواطئ المسكونة بالحلم والدهشة..

وإذا كانت الكويت تريد أن تحصي إنجازاتها الحضارية الباهرة، فلا شك أن احتفاءها بالكتاب، وتكريمها له، يعتبر واحداً من أروع إنجازاتها.

والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الذي احتضن الفكرة، ونفذها بنجاح خلال السنوات التسع الماضية، يستحق الشكر العميق، لأنه يمنحنا كل عام هذه المتعة الحضارية الفذة التي تخرجنا من سراديب ضجرنا، وثرثرتنا الفارغة، ووحول السياسة اليومية، إلى بساتين مرسومة بكل ألوان الطيف، وسماوات مرصوفة بملايين النجوم..

وإذا كان الكتاب هو ضيفنا الحبيب الأثير، فإن واجب المضيف أن يفرش لضيفه السجاد الأحمر، ويضيء له المصابيح، لا أن يضايقه في غدوه ورواحه.. ويكشر في وجهه.. حتى تصبح إقامته بيننا نوعاً من الإقامة الجبرية..

وهذه ملحوظة صغيرة أوردها، حتى لا يتكرر ما حدث على أرض المعارض في مشرف.. حيث سال دم كثير من الكتب دون ذنب..

إن الكتاب مخلوق رقيق جداً.. ورهيف الإحساس جداً.. وليس من شمائل الكويت ولا من طبيعتها كسر أعناق العصافير..

الجنين

-1-

أربعون سنة
وأنا أفتش عنك
في أصداف المحار..
وفي أوراق الأشجار..
وفي مناقير الطيور..
أربعون سنة..
وأنت تتشكل في داخلي
كدانة خليجية..
وتتمدد في عتمة ظنوني..
كنباتٍ شيطاني..
وتنبض في أحشائي..
كجنين يستعجل تاريخ ولادته..
أربعون سنة
وأنا جالسة عند قدمَي الخليج
أقرأ في كتاب البحر

علّ واحداً من صيادي اللؤلؤ..

يبشرني، بأنه عثر عليك

نائماً.. في إحدى الأصداف..

-2-

.. وصدفة قابلتك..

وأنت تلتقط اللؤلؤ من دمي

وتتفتح كزهرة اللوتس في مياه حياتي..

ومن الفصاحة.. ما قتل

نحن لا نعرف من الذي قتل الأميركيين «بالجملة».. قد يكون القاتل شخصاً.. وقد يكون تنظيماً سرياً.. وقد يكون مجموعة من الفدائيين أو الانتحاريين، أو الغاضبين من السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط..

المهم أن الذي ارتكب العمل كان يريد أن يقول شيئاً للولايات المتحدة، وقد قاله بشكل دموي جداً.. ومعدني جداً.. وعصبي جداً.. وفصيح إلى أقصى درجات الفصاحة..

ونرجو ألا يتكرر الخطأ الأميركي مع العرب مرة أخرى.. لأن الفصاحة العربية، إذا خرجت عن طورها، تقتل

ونحن أيضاً.. أولاد ناس

لقد ارتجف العالم كله أمام «بيرل هاربور» الجديدة، واشتعل الغضب، وانخرط العالم في نوبة بكاء هيستيرية، ونُكّست الرايات حزناً على الضحايا الأميركيين الذين تناثروا كالرماد في محرقة بيروت..

أما نحن.. فلا نجد مع الأسف من يبكي علينا.. ويحمل إلى قبور شهدائنا وردة.. كأنما المتحضرون يبكون فقط على المتحضرين..

أما شهداء العالم الثالث فلا يجدون من يتكرم عليهم بدمعة، أو يمشي في جنازتهم أو يبيعهم قبراً إلا إذا دفعوا ثمنه بالبترودولار..

إنني أعترف أن الذين سقطوا من المارينز هم أولاد ناس.. ولكن الذين سقطوا من أولادنا في الحروب العربية - الإسرائيلية بالآلة الحربية الأميركية، والجسور الأميركية المحدودة.. ومستودعات الذخيرة المفتوحة بلا حساب، والانحياز لمصلحة التفوق الإسرائيلي، هم أيضاً أولاد ناس..

ورغم أن الولايات المتحدة مسؤولة معنوياً ومادياً عن مصرع عشرات الألوف من الشباب العرب على جبهات مصر وسوريا والأردن ولبنان، ورغم أن الإساءات الأميركية للعرب لا تغتفر، سواء في مجلس الأمن أو خارجه، فهذا لا يمنعنا من أن ننحني أمام هؤلاء الشباب الأغرار الذين شاء لهم الله أن يكونوا كفَّارة عما ارتكبته الإدارة الأميركية نحو الأمة العربية من

ذنـوب.. وإذا كان البيـت الأبيـض عـرف معنـى البـكاء، فـإن ألـوف البيـوت العربيـة أدمنـت البكاء.. وهكذا تتسـاوى دموع الظـالمين.. ودموع المظلومين

أستراحة الخميس *

(13)

- مبارك الكبير حارساً في مستشفى الولادة!
- الشاعر القروي.. مئة عام من الانتظار!
- المعركة بين الكاتب والسلطة صراع شرعي من أجل الحياة..

*-الوطن 18 / 10 / 1984

مبارك الكبير حارساً في مستشفى الولادة

منذ أيام شاهدته جالساً القرفصاء على بوابة مستشفى الولادة.. فحزنت.. لم أحزن لأن الرجل قريبي، أو لأن فصيلة دمه من فصيلة دمي.. ولكنني حزنت لأن رمزاً من أعظم الرموز في بلادي يجلس القرفصاء.. ولأن الرجل، الذي كان كالسيف شموخاً وكبرياء، يجلس حزيناً وغريباً في الطابور أمام مكتب الاستعلامات.. فصورته المحشورة بين الباب الخارجي لمستشفى الولادة ومكتب الاستعلامات على ارتفاع لا يتجاوز قامة طفل.. هزتني..

إنني لا أثير هذا الموضوع من منطلق الدم والقربى، ولكنني أثيره من المنطلق القومي والتاريخي..

فالتاريخ ليس ملكي، ولكنه ملك الذين صنعوه، ولن يضير هذا الرجل الكبير في شيء أن يجلس مع الحوامل والمرضعات، أو اللواتي يتهيأن للولادة.. فهو خرج من أعماق هذا الشعب، وعاش معه سراءه وضراءه، وشاركه لقمة العيش وحبة التمر..

ولكنني هنا، أتحدث عن الأصول التي تأخذ بها دول العالم للمحافظة على رموزها القومية والتاريخية، فالذي أعطي الكويت عنفوانها، وأعطاها حجمها وكينونتها، يجب أن يبقى مرتفعاً كالمنارة على شاطئ

البحـر.. أن يكـون في صـدر المـكان، لا أن يشـتغل حارسـاً على بـاب أحـد المستشـفيات..

والـذي ولـدت الكويـت على يديـه، لا يجـوز مـن بـاب الـذوق واللياقـة، أن يبقـى جالسـاً القرفصـاء على مستشـفى الولادة.

إنـه ليـس كرسـياً يحركـه مهنـدس الديكـور كما يحلـو لـه.. ولكنـه الحجـر الأسـاسي في بنـاء الكويـت.

مئة عام.. بانتظار الحصان

رحل الشاعر القروي (1887 - 1984) بعد مئة عام من النضال الشعري في سبيل وحدة العرب، تاركاً العرب وهم في أتعس أيامهم وأكثرها تمزقاً، وتشرذماً وانفصاماً..

أي أن هذا الشاعر العظيم.. مات حزيناً، ويتيماً، ومقهوراً، ومكسور الخاطر.. دون أن يحقق حلمه القومي والشعري، في رؤية الإمبراطورية العربية الواحدة تنشر بيارقها على كل كوكب..

إن من يتابع سيرة الشاعر رشيد سليم الخوري، الذي كان يوقّع قصائده باسم الشاعر القروي، لا يسعه إلا أن ينحني أمام هذا المسيحي من قرية البربارة الساحلية، الذي لم يتزوج إلا القومية العربية، ولم ينجب قصائده إلا منها، ولم يعرف الازدواجية، ولا عرف مبدأ تعدد الزوجات مع هذا النظام أو ذاك.. أو مع هذا الحكم أو مع هذا السلطان.. ولم يسمح له كبرياؤه بأن يخفض جبينه أو جبين شعره على أقدام ملوك الطوائف.

كان الشاعر القروي ملكاً على الشعر، ملكاً يستمد سلطته من قوة الشعر، وسلطة الكلمة، لا من قوة السيف، والمسدس.. والمخابرات العامة..

لـو أراد الشـاعر القـروي أن يكـون وزيـراً للثقافـة لـكان سـيد الـوزراء.. ولو أراد أن يكـون مستشـاراً في الجامعـة العربيـة لـكان أعظـم المستشـارين.. ولو أراد أن يبيـع كلماتـه في سـوق النخاسـة لـكان أثـرى الأثريـاء.. ولـو أراد أن يشـتغل طبـالاً في كـورس السـلطة لباسـوا يديـه.. ولكـن الشـاعر القـروي لم يكـن مـن هـذا الـقماش، ولا كان ضـميره قـابلاً للبيـع والشراء، ولا كان شـعره بضاعـة قابلـة للتسـويق، إنـه أشرف، وأعـف، وأطهـر شـاعر عـربي احتفـظ بعذريتـه الشـعرية والخلُقيـة والقوميـة منـذ الـعصر الجـاهلي حتـى اليـوم.

وإذا كان كـثير مـن شـعرائنا العـرب، قـد غيروا جلودهـم، وغيروا سروجهـم، وغيروا ولاءاتهـم مـع اتجـاه الريـح، فـإن الشـاعر القـروي كان النمـوذج الرسـولي للشـاعر الـذي لم يـغير سرجـه.. ولم يسـتبدل سـيفه.. ولم يشرك بعبـارة القوميـة العربيـة أحـداً..

مئـة عـام مـن محبـة القوميـة العربيـة، لم يكفـر بهـا في لحظـة واحـدة، ولم ييئـس مـن كل الهزائـم والانتكاسـات والخيانـات والضربـات القاتلـة التـي نزلـت على رأس العـرب فسـلبتهم ذاكرتهـم وكسرت مرايـا أحلامهـم وأدخلتهـم سراديـب العتمـة واليـأس..

تلـك هـي معجـزة الشـاعر القـروي، فـحين قـرف أكثر الكتـاب العـرب مـن بشـاعة المسرحيـة العربيـة، وبشـاعة ممثليهـا، وغـادروا القاعـة غضبـاً واحتجاجـاً.. بقـي هـذا الشـاعر العظيـم جالسـاً وحـده في القاعـة، ينتظـر ظهـور بطـل عـربي جديـد، ينهـي عصـور الانحطـاط ويوحـد العـرب، ويطـرد خفافيـش الانفصـال التـي تملأ أرجـاء المسرح.

إن أهميـة الشـاعر القـروي ليـس في كونـه واحـداً مـن أعظـم الأصولـيين

والكلاسيكيين العرب في فن الشعر، ولكن أهميته تنبع من كونه أعظم الصابرين.. على حماقات العرب.. وجهالات العرب..

إن مئة عام من الصبر على هذا الكرنفال العربي الرهيب، تستحق أن تطوب الشاعر رشيد سليم الخوري قديساً من كبار القديسين الذين ظهروا في المنطقة.

إنه أيوب هذا العصر العربي دون منازع.. فمن حكم العثمانيين، إلى حكم الفرنسيين والإنجليز.. إلى حكم الانفصاليين والتجزيئيين والفئويين والطائفيين العرب.. ظل الشاعر القروي ينتظر على باب بيته في البربارة عند كل غروب شمس، حصاناً أبيض اللون، عربي الصهيل، يحمل على ظهره رجلاً له ملامح صلاح الدين الأيوبي.. أو جمال عبد الناصر..

ومات الشاعر القروي.. ولم يأت الحصان.

مساوئ التغريد.. في زمن السلطان عبد الحميد

المعركة التي اشتعلت في القاهرة بين الروائي الدكتور يوسف إدريس، ووزير الثقافة المصري السيد عبد الحميد رضوان، ليست معركة بين رجلين.. وإلا لما تناولتُ الموضوع وعقبتُ عليه.. المعركة هي استمرار تاريخي للحرب التقليدية بين الكاتب والسلطة، وهي معركة لم تتوقف في يوم من الأيام، ولا أعتقد أنها سوف تتوقف، بين متحاربين قويين لا يقبل أحدهما بشرعية الآخر، ولا يعترف به أساساً. فالسلطة من جانبها تمثل الثبات، والنظام، والتحجر، والكاتب من جانبه يمثل التمرد، والانقلابية، والخروج على المألوف.

السلطة تعتبر نفسها مسؤولة عن حفظ مخلفات العائلة، من ثياب قديمة.. ونقود ومخطوطات قديمة.. وأفكار قديمة.. والكاتب يعتبر نفسه مسؤولاً عن إعادة ترتيب البيت القديم، وتغيير ديكوره، ونفض الغبار وخيوط العنكبوت عن مفروشاته، وتزويده بتلفزيون وفيديو ومكتبة جديدة.

إنه صراع شرعي بين ما كان وما سوف يكون.. بين عبادة الماضي وآفاق المستقبل، بين استقرار الحجْر.. وحركة الموج..

السلطة تعتبر نفسها نموذجا للحكمة، والمعرفة، وعمق البصر

والبصيرة.. وتتهم الكاتب بأنه طفل مشاغب ومخرب و»مخدور»، وتأمر بوضعه في إحدى إصلاحيات الأحداث.. حفظاً على الأمن الاجتماعي.. أو على أمنها الخاص..

والكاتب يعتبر نفسه مسؤولاً عن حركة التغيير في العالم، ويعتبر الدولة مؤسسة بيروقراطية هي بحكم نشأتها وتركيبها ضد الثقافة، وضد الخلق، وضد أي عمل تغييري أو إبداعي..

وهكذا يتصادم الديكان.. الديك الحكومي، بكل عجرفته، وغروره، ومخالبه البوليسية.. والكاتب بريشه المنفوش، وحنجرته الذهبية الحادة، وعرفه المشرئِبّ نحو السماء.. وصياحه الذي يوقظ ملايين النيام.

ولقد شُنِق وسجن حتى الآن ألوف المفكرين والكتاب، سقط ملوك كثيرون عن عروشهم، ولا يزال المحاربون في مواقعهم..

لا الحاكم يريد أن يفهم طبيعة الكلمة الحرة.. ولا الكاتب يريد أن يبيع كلماته بالتعرفة الحكومية..

لا الحاكم يريد أن يتخلى عن شهوة الركوب.. ولا الكاتب يرضى أن يتحول إلى دابة يركبها السلطان عندما يذهب إلى قصره..

لا الحاكم يفهم أن الكرباج قد يدمي ظهر الكلمة، ولكنه لا يقتلها.. ولا الكاتب يتخلى عن غريزته الفطرية في الصراخ.. والهجوم المضاد على السيف والكرباج وحبل المشنقة.. وغرز أظفار كلماته في عيون السلاطين دفاعاً عن النفس..

إن ما يحدث في مصر يحدث في كل جزء من أجزاء العالم العربي.. حيث تشتبك الثقافة كل يوم مع جلاديها.. وإذا كان بعض الأقلام قد

انـتصر لقضيـة الدكتـور يوسـف إدريـس، فهـذا في نظـري أضعـف الإيمـان.. فقضيـة الدكتـور إدريـس ليسـت قضيـة الثقافـة المصريـة.. بـل هـي أزمـة الثقافـة العربيـة مـع الحكـم والحـكام في كل مـكان، لذلـك لا عتـب على وزيـر الثقافـة المصري، إذا اصطـدم مـن موقـع القـوة، مـع كاتـب لا يملـك مـن وسـائل الدفـاع عـن النفـس سـوى قلمـه.. إن مراكـز القـوى لا تـزال تسـيطر على الـبلاد.. وتمسـك برقـاب العبـاد.. مـن المحيـط إلى الخليـج.. وتضـع يدهـا على الجرائـد، والمـجلات، والدوريـات، والمكتبـات، ودُور الـنشر، ومعـارض الكتـب.. بـل تضـع يدهـا على الأبجديـة العربيـة مـن الألـف إلى اليـاء.. فـإذا رفـع الكاتـب بيديـه أوراقـه إلى الأعلى.. نجـا برأسـه مـن سـيف الـجلّاد.. أمـا إذا تمـرد.. فـإن عـذاب أجهـزة المخابـرات لعظيـم..

الأميركاني.. يسرق مياه الليطاني

هـذا العنـوان المشـجع ليـس مقصـوداً، ولكـن قـراءة محـاضر جلسـة مجلـس الأمـن التـي نوقشـت فيهـا الشـكوى اللبنانيـة ضـد الممارسـات اللا إنسـانية التـي تقـوم بهـا إسرائيـل على الأرض، والـبشر في جنـوب لبنـان المحتـل، هـي التـي فرضـت العنـوان..

الواقـع أن الحديـث عـن حبـل المشـيمة الـذي يربـط بين الولايـات المتحدة وإسرائيـل ليـس حديثـاً سريـاً، فقـد كُتِبَـتْ في هـذا الموضـوع أطنـان مـن المقـالات.. وسُـفِحت بحـور مـن الـحبر.. لذلـك فـإن أي كلمـة تضـاف إلى الموضـوع، تبـدو نوعـاً مـن تحصيـل الحاصـل.. إلا أن قضيـة الماء تمثـل الآن تطـوراً جديـداً في العلاقـة الإستراتيجيـة الأمريكيـة - الإسرائيليـة.

بمعنـى آخـر.. أن الولايـات المتحـدة، باسـتعمالها حـق الفيتـو في مجلـس الأمـن، قـررت أن تقتـل لبنـان عطشـاً.. وهـي موافقـة على أن يموت الشـجر.. ويمـوت الـبشر.. ويمـوت كل شيء أخضر..

الاسـتعمار عطشـاً.. هـذه هـي آخـر تقليعـة أميركيـة للتخلـص مـن الشـعوب المناضلـة، مـن دون ألم.. القنابـل العنقوديـة والانشـطارية صـارت موضـة قديمـة.. لأن الخرائـب وجثـث الـبشر لا يمكـن إخفاؤهـا عـن لجـان التحقيـق.. وطائـرات «إف 16» صـارت أيضـاً فضيحـة علنيـة، لأن الـكاميرات

تستطيع تصويرها.. ونشر الصور في الصحافة العالمية..

إذن ما أنجح طريقة لقتل الشعوب «على الساكت»؟..

إنها سحب المياه من أنهارهم.. بحيث يموتون بالتقسيط.. وسحب العصير من برتقالهم، بحيث يصبح برتقالاً من الخشب.. وإطلاق الرصاص على السحاب حتى لا يمطر.. وسحب البريق من عيون الأطفال الجنوبيين.. بحيث لا يرون طريقهم ولا مستقبلهم.. وسحب الدماء من شرايين المناضلين اللبنانيين، واستنزافهم جسدياً وإرادياً، حتى لا يجعلوا الاحتلال العسكري الإسرائيلي جحيماً، وبناء «جدار برلين» أو «سد الصين الكبير» بين الجنوب وبقية أجزاء الوطن اللبناني، بحيث يصبح الجنوب مقاطعة تابعة لسيبريا.. لا لبيروت..

هل دخلت أمريكا مع اللبنانيين حرب الماء.. وقررت الانتقام لشرفها الضائع بعد أن طُرِد أسطولها السادس ورجال بحريتها شر طردة من المياه اللبنانية.. وهُزمت سياسياً هزيمة منكرة بإلغاء اتفاق 17 أيار الذي كانت هي عرابه؟..

هل سقطت كل مثاليات أميركا وكل القيم الخلقية التي غنى بها إبراهام لنكولن، وروزفلت، وإيزنهاور.. ولم يبق للرئيس ريغان سوى أن يقتل الشعوب عطشاً.. حتى يضمن انتخابه رئيساً للمرة الثانية.. للولايات المتحدة؟..

أما بعد..

فليشرب الرئيس الأمريكي الشامبانيا في مهرجاناته الانتخابية كما يشاء.. وليشرب أطفال أميركا الكوكاكولا المثلجة.. متى يشتهون.. وليشرب

الناخبون الأميركيون أكاذيب مرشحيهم كما يريدون.. أما نحن «شعوب العالم الثالث» فلن نهتم بمن يأتي أو بمن يذهب.. ولن نفرح أو نزغرد لاسم الرئيس القادم.. فكل رؤساء الأميركيين يحملون الجنسية المزدوجة الإسرائيلية - الأمريكية.. وكل الرؤساء الأميركيين يولدون في أورشليم.. ويواصلون دراستهم في جامعة هارفرد.. وكل الرؤساء الأميركيين يحملون قراراً من البنتاغون بقتلنا جوعاً.. وعطشاً.. وحصاراً.. حتى يموت آخر طفل في الجنس العربي

هذا هو المخطط المعروف والمنظور.. ولكننا نطمئنكم، بعد أن قرأنا تاريخ أفريقيا مع مستعمريها، وتاريخ الدعوة الإسلامية مع المشركين والكفار، بأننا لن نموت عطشاً.. لن

نموت عطشاً.. لن نموت عطشاً..

وعدتُك.. فعِدْني

أعدك أن أكون وطنك
فعدني أن تكون عاصمتي..
أعدك أن أكون سفينة أحلامك..
فعدني أن أكون آخر مرافئك..
وعدتك أن أكون غمامتك..
فعدني أن تكون أمطاري.

استراحة الخميس *

(14)

• عندما تجف منابع السكر.. تجف منابع الوفاء.
• البط السويسري يتقن لغة الحب.. والإنسان العربي نسيها..
• وتمتلئ عيناك بالدمع وتتذكر أن ينابيع الكرم والشهامة تتدفق دائماً من الجنوب..

*-القبس 23 / 11 / 1984

حدود الشوك.. وحدود الحرير

المسافر العربي الذي يخرج من بلاده، ويتجول في أوروبا بسيارته، ينتابه شعور العصفور الذي لا يعرف كيف يتصرف بأجنحته.. وكيف يتصرف بحريته..

لقد تعود أن يقف لساعات بل لأيام على الحدود العربية - العربية.. حيث يعاملونه كأنه جرذ.. أو صرصار.. أو مهرِّب محترف.. فلا يخرج من بين يدي «الإخوة» إلا وهو بحاجة إلى تقرير طبي.. من كثرة التفتيش والتنبيش.. والتدفيش..

على الحدود الإيطالية إذا فكرت في إبراز جواز سفرك.. أو دفتر «تربتك» السيارة.. نظروا إليك باندهاش عظيم كأنك قروي يرى الحدود للمرة الأولى..

وعلى الحدود الفرنسية، إذا حاولت أن تقف لحظة واحدة لتقول لهم من أنت.. يصرخ الشرطي الفرنسي بعصبيته المعروفة: «تحرك فقد عطلت السير» Bonvoyage.

وعلى الحدود السويسرية.. لا ترى أحداً.. إلا العصافير المكلفة حراسة الحدود: يا جماعة.. يا حضرات.. تعالوا شوفوا جواز سفري.. فلا يرد عليك أحد كأنك مجنون يصرخ وحده في البرية..

لا أحـد يريـد منـك على الحـدود الأوروبيـة.. إلا سلامتـك.. أمـا على الحدود العربيـة - العربيـة.. فـكل شيء ممكـن إلا سلامتك..

هـذا مـا جـرى معنـا، حين انطلقنـا مـع الأولاد وبعـض الأصدقـاء في قافلـة مـن السـيارات مـن قريـة مجيـف الفرنسـية إلى مدينـة لوغانـو السـويسرية مـخترقين جبـال الألـب مـن جانبهـا الفـرنسي إلى جانبهـا الايطـالي..

كنـت في السـيارة الأولى أحمـل مـا يقـارب مـن عشريـن جـواز سـفر.. وأقبـض عليهـا بقـوة خوفـاً مـن أن يضيـع واحـد منهـا، فيرجعونـا مـن حيـث أتينـا.. وسـألت نـفسي وأنـا أقـود السـيارة: تـرى بـأي لغـة سـأتكلم لأشرح لموظفـي الحـدود مـن نحـن؟ هـل سـأخاطبهم بالإنجليزيـة.. أم بالفرنسـية، أم بالإيطاليـة التـي لا أعـرف منهـا إلا قائمـة الطعـام وكلمتـي بونجورنـو وبونـاسيرا.

ولا تتصـوروا خيبـة أملي، عندمـا اجتزنـا الحـدود الثلاثـة الفرنسـية والإيطاليـة والسـويسرية.. ولم يعطـوني فرصـة لأجـرب فصاحتـي بـأي لغـة مـن اللغـات..

ووصلنـا إلى لوغانـو.. وجلسـنا على شـاطئ بحيرتهـا الجميلـة، وتجمَّـع البط الأبيـض حولنـا مـن كل جانـب، وكانـت كل بطـة تهـز جناحيهـا فرحـاً وتقـول لنـا بالإنجليزيـة أحبكـم.. أحبكم.

يـا إلهـي.. إذا كان البـط السـويسري يتقـن بالفطـرة لغـة الحـب.. فـلماذا نسي الإنسـان العـربي لغـة الحـب؟..

حكاية صغيرة.. عن مطعم صغير

أكثر ما لفت نظري على الطرقات الأوروبية، بين فرنسا وإيطاليا، تلك المطاعم والأوبرجات الصغيرة جداً التي هي في الأساس بيوت قرويين فرنسيين وإيطاليين حوّلها أصحابها إلى مرافق سياحية لا علاقة للدولة أو لشركات الاستثمار الفندقية بها.

فغرفة الطعام العائلية ذاتها أصبحت تستقبل خمسة أو عشرة أشخاص على الأكثر، والمطبخ العائلي الصغير أصبح يقدم طبقاً يومياً هو الطبق ذاته الذي تتناوله الأسرة. أما الذين يديرون المطعم أو الأوبرج فهم أفراد الأسرة كل حسب اختصاصه، فالأب يتولى شراء المواد الأولية والأم تتولى طبخ الطعام، والأولاد والبنات يقومون بإعداد الطاولات القليلة وخدمتها، فالإدارة الذاتية هي النظام السائد في هذه الأمكنة، ولا أثر للعمال الأجانب فيها.

أروع ما في هذه المطاعم والأوبرجات هو هذا المناخ الشاعري الإنساني الأليف الذي يحيط بك بمجرد أن تطأ قدماك عتبة الباب، فالابتسامات القروية الطيبة تسقط عليك كالمطر الربيعي، وليس فيها أثر للتصنيع أو الابتزاز. وما إن تجلس مائدة وتبدأ بتناول طعامك، حتى تخرج إليك صاحبة البيت من المطبخ بمريولها الأبيض النظيف لتطمئن على طبختها

التـي وضعـت فيهـا كل عراقـة المطبـخ الفـرنسي وكل تـراث المطبـخ الإيطـالي.

ويـأتي صاحـب المطعـم ذو الوجـه المشرَّب بالحمرة ليشرح لـك أن ما يقدمه هـو مـن صنـع البيـت، وقـد ورثـه مـن أيـام جـده الـذي شـارك في حـروب نابليـون.. وأن الجبنـة التـي يقدمهـا هـي مـن محصـول بقرتـه.. وأن البيـض الـذي يسـتخدمه هـو من نسـل دجاجته.. وأن المـربى الفرانبواز هـو من صنع يـد المـدام.. وهـي التـي قطفـت حبـات الفرانبـواز بأصابعهـا الرشـيقة مـن الحقـل.. تسـتمع إلى الرجـل بمحبـة.. وكأنـك تقـرأ تاريـخ فرنسـا..

وعندمـا تطلـب ورقـة الحسـاب.. يقـول لـك ذو الوجـه المشرّب بالحمـرة.. بفرنسـية لا غبـار عليهـا: «اتركهـا هـذه المـرة علينـا..»

وأمام الدهشة التي تعقد لسانك، تسأله:

_ ولكن.. هل أنت من جنوب لبنان؟

_ لا يا سيدي.. أنا من جنوب فرنسا..

وتمتلـئ عينـاك بالدمـع.. عندمـا تتذكـر أن ينابيـع الكـرم والشـهامة في العـالم كلـه، تتدفـق مـن الجنـوب

حكاية عن النمل والسكر

في منطقة ما على الخليج العربي يمتد البحر ليحتضن شرفة بحرية، مظلتها سماء خريفية تتعانق فيها سحب رمادية حبلى بالدموع الخفية، يجلس في الشرفة رجل من بقايا السيوف، في جبهته شيء من ارتفاع الغيم، وفي عينيه شيء من حكمة البادية، ونسمات تلاعب شعره الرمادي الناعم، وفتاة في مقتبل الشباب:

هو: ها ما تريدين؟

هي: أريد أن أسمع منك..

هو: وماذا ستسألين اليوم؟

هي: عن الأهل.. والأصدقاء.. والمعارف..

هو: لا أفهم ما تقصدين!

هي: اسأل عن أهلي عن أقاربي!

هو: ومابهم أهلك؟

هي: لا نراهم..! لا يزورونا..! لا يقومون بالواجب.

صمت الرجل، ونظر إلى البحر ثم نظر إلى مجموعة من النمل تتحرك قرب قدميه.

هو: أعطني قليلاً من السكر يا ابنتي.

هي: لماذا؟

هو: حتى ترَي الجواب العملي لسؤالك..

هي: كيف..؟

هـو: لا تـكثري الـكلام، رشي قلـيلاً مـن السـكر قـرب النمـل، ودعينـا نتمشَّى، وحين نعود أخبرك

هي: كيف..؟

هو: لا صبر للشباب.

هي: ليست المسألة مسألة صبر.. ولكنها البحث عن المعرفة..

هو: العلم والمعرفة أساس الحياة..

هي: هل تؤمن بتعليم المرأة؟

هو: العلم هو سلاح المرأة ضد الذئاب.

هي: وما العلم للرجل؟

هو: العلم هو بوليصة التأمين ضد الشيطان والسلطان..

هي: دعنا نعد لنرى ما حصل..

هو : هل ترين كيف تكاثر النمل على السكر..؟ مختلف الألوان والأحكام.. انظري كيف يحاول الوصول بأي طريقة، انتظري وسترين، لن يبقى إلا القليل..

هي: ما علاقة هذا بسؤالي؟

هـو: كنـت يـا ابنتـي، كهـذا السـكر.. حـولي الكـبير والصـغير والقريـب

والبعيـد.. وعندمـا جفـت منابـع السـكر.. جفـت منابـع الوفـاء ولم يبـق حـولي إلا الصديـق الصديـق..

هي: ولكنك تهبّ كالعاصفة حين يصيبهم أذى..

هو: هذه هي شيمتي..

هي: وما تفسيرك لهذا الجفاء يا أبت..؟

هو: لا تفسير إلا عقدة الماضي!..

هي: كيف؟

هـو: كـبيراً كنـت عندمـا كانـوا صغـاراً.. مسـحت القـذى عـن عيونهـم.. وعلمتهـم الحيـاة.. وكانـت فرحتهـم الأولى على يـدي.. وخروجهـم لعـالم الرجـال على يـدي..

هي: أهذا هو الجزاء!؟

هو: ثوابي عند الله.. أما البشر فلا أطلب منهم ثواباً..

هي: وكيف ملامح وجوههم.. أتمنى أن أراهم..

هـو: أتذكـر وجوههـم عندمـا كانـوا صغـاراً.. ولكـن بعـد أن انقطعـوا عنـي ولبسـوا أقنعـة تنكريـة، لا أعـرف كيـف صـارت سماتهم.

هي: هل تحبهم يا أبت؟

هو: ومن منا لا يحب أولاده.

ودخـل أطفـال في عمر الزهور على أبيهم، وأحاطـوه بالحب والقبل والدلال، فانقطـع الحديث.. وقال الأب وهو يبتسـم: هـذه هي مملكتي الحقيقية

تأشيرة دخول

إذا فكر المطر أن ينزل على الكويت 27 نوفمبر.. فلن يجد من يعطيه تأشيرة دخول.. لأن مجلس التعاون منعقد.. فقولوا للمطر أن ينتظر للسنة المقبلة.. أو للسنة التي بعد.. بعدها.. أو يذهب إلى بلاد أخرى ليس فيها مؤتمرات خطيرة.. كمؤتمرنا العتيد.. فالعشب الطالع من البرية.. ليس بأهمية العشب الطالع من الملفات الحكومية..!

ديمقراطية

ليسـت الديمقراطيـة أن يقـول الرجـل رأيـه في السياسـة دون أن يعترضـه أحـد.. الديمقراطيـة أن تقـول المـرأة رأيها في الحـب.. دون أن يعترضهـا أحد..!

هوية

يعرفني الناس بك.. فأنت عطري الخصوصي..

أستراحة الخميس *

(15)

• أنا امرأة تريد أن تعمر بالكلمات كوناً يتسع لسكنى ملايين البشر.
• الفرح زهرة من ورق.. أما شجرة الحزن فهي التي تطرح أطيب الثمر.
• علمتني الصحراء أن أكون قوية كالريح وصابرة كالنخلة.. أما البحر فعلمني البحث عن المرافئ.

*-القبس 24 / 04 / 1987

نولد.. ونموت على ضفاف الجرح

الحزن وردة سوداء هي أندر وأجمل وردة في العالم، وكل أزهار الدنيا تبدو أزهاراً عادية واصطناعية أمام وردة الألم.

إنني لا أعرف عملاً فنياً عظيماً سواء أكان شعراً أم رواية أم رسماً أم نحتاً أم موسيقى.. لن يكون مضرجاً بالدمع والفجيعة.

الفرح زهرة من ورق، لا رائحة لها.. أما شجرة الحزن.. فهي التي تطرح أطيب الثمر.. ونحن العرب بصورة خاصة، وشعوب العالم الثالث بصورة عامة، نولد على ضفاف الجرح.. ونموت على ضفاف الجرح.

إن حياة الإنسان العربي هي سلسلة من القمع، والخوف، والاستلاب، والقهر السياسي، فمن أين للإنسان أن يضحك وهو الوارث الشرعي لتاريخ البكاء؟

علمتني الصحراء مراودة المستحيل

بيئتي مزيج من الصحراء والبحر، وفي طبيعتي شيء من شمس الصحراء ولهيبها، وشيء من طموح البحر، وحركته، وعنفوانه.

علمتني الصحراء، فن مراودة الأفق، والتطلع إلى المستحيل، والتحديق في اللانهاية.

وعلمتني أن أكون قوية كالريح، وصابرة كالنخلة. أما البحر فقد علمني البحث عن المرافئ التي لا تأتي.. والذهاب إلى آخر المسافة، وآخر الأشياء..

وهكذا يجتمع بي النقيضان؛ الصحراء بكل قسوتها، وتقاليدها، وأعرافها، وسلفيتها وثباتها.. والبحر بكل حركته، وثورته، وعنفه، وجنونه.

أين نهرب من عناوينا وذكرياتنا؟

كل شيء في هذا العصر على سفر.. والمواطن العربي يحمل حقيبة أحزانه.. ويتسكع كالشعراء الصعاليك في مطارات العالم.. وفي هذا الزمن العربي بالذات.. كبر المنفى.. وصغر الوطن.. اتسعت الغربة.. وضاق الارتباط بالمكان.. وتراجع الحنين إلى التراب. صار المنفى مهنة.. أو لقباً.. يطبعه الإنسان العربي على بطاقته الشخصية، وصار المنفيون في أوروبا مجتمعاً قائماً بذاته.. له طقوسه وتقاليده ومطامعه ومقاهيه وجرائده. ولكن المنفى، رغم كل اللافتات التي يرفعها، يبقى مهنة مستحيلة، ويبقى دورانا دائماً حول جرح أحمر.. ينزف باستمرار، اسمه الوطن. وإذا هرب المنفيون من أسمائهم، وعناوينهم، وذكرياتهم، فماذا يفعلون برائحة الوطن؟ أين يخبئونها؟ كيف يسدون عليها ثقوب الأبواب إذا هي هاجمتهم في اليقظة أو في الأحلام؟

إن هذه الرائحة الطيبة العذبة التي تعبق من أرض الكويت، وتمتزج فيها نكهة البحر بحلاوة الرطب، بعبق القهوة المرّة، وأعواد البخور، وزهر النوير في أول الربيع، هي التي تنادي مراكبنا حيث كانت.. وتنادي الكويتيين حيث وجدوا كما تنادي الأم أطفالها إذا تأخروا خارج البيت.

هذه الرائحة الكويتية النادرة الساحرة الدافئة تخرج لنا من ثيابنا حيث كنا.. وتسلمنا تذاكر السفر.. وتطلب منا ألا نتأخر عن العشاء.

كويتية حتى العظم

رسالة من صديق غالٍ وصلتني بعد أمسيتي الشعرية يقول فيها: جئت متأخراً لدقائق.. رأيت الجموع تقوم بمبايعة شاعرة، فتأكد لدي أن الدنيا مازالت بخير.

الناس قالوا كلمتهم، وهي كلمة الفصل.. كل الكلمات بعدها تدخل في خانة الكماليات. لا أحد يستطيع أن يمنع دفء المحبة بين قلوب الطيبين! فالوردة لا تنفصل عن رائحتها! والشراع لا يكون شراعاً إلا فوق ساريته المتحدية! والبوصلة لا تكون دليلاً إلا مع اتساع الأفق وتعدد المسافات! ويقولون: «كلما اتسعت الرؤية، ضاقت العبارة».

وعبارتك متسعة إلى درجة الرؤية الكونية.. العبقة والمثمرة، والبسيطة مثل قلوب عجائز بلادنا.

أطمئنك يا أخي الغالي العزيز، فأنا كما تعرفني، لا أحد يستطيع أن يقتلع من جلدي شمس الكويت، ولا أحد يستطيع أن يسرق القمر الكويتي من تحت أهدابي.. إنني كويتية حتى العظم.. حتى العظم.. حتى العظم. وكما تعرفني، لا أسمح لأحد بأن يسألني عن هويتي أو يناقشني في ولائي.. أو يعطيني دروساً في الانتماء. وأنا -كما تعرفني- لا أجامل ولا أنافق ولا أتملق الأفكار السائدة ولا أمسح العباءات.. فلذا جاءت كل هذه الجموع لتسمعني، فهي مثلي كبحر الكويت منفتحة على كل مشتقات اللون الأزرق.

خير الكلام.. ما قل ودل

- إن القيمة الحقيقية للإنسان هي في قدرته على العطاء ومشاركة الآخرين أفراحهم وأحزانهم، وأنا امرأة متحفزة يسكن تحت جلدي إنسان متحفز وطَموح ومؤمن بإرادة التغيير، إنسان يرفض أن يعيش كالنباتات الطفيلية على هامش الحياة، ويجد أن مكانه الحقيقي هو أن يكون في خندق الدفاع عن الإنسان وقضاياه الكبرى.
- الظمأ الثقافي لا علاقة له بالتصنيفات الاجتماعية، إنه حاجة روحية تتفجر في داخلنا بصرف النظر عن موقعنا وهويتنا، وصراعي من أجل رفع مستواي الثقافي لا يرتبط بالحاجة المادية أو بمن أكون.
- الشعر هو الخلفية الخضراء التي تقف خلف كتاباتي، سواء كتبت في السياسة أو في الاقتصاد أو في القضايا الاجتماعية. أفعل ذلك بقدر ما في داخلي من شعر. الشعر هو النظرة الصافية والشمولية إلى كل شيء، وهو الخزانة التي أودع فيها مشاعري وذكرياتي وطموحاتي.. وهو المرآة التي أرى فيها نفسي.
- أنا امرأة تريد أن تعمر بالكلمات كوناً يتسع لسكنى ملايين البشر، بصرف النظر عن ألوانهم، وأعمارهم، وجنسياتهم.
- سيبقى للشعر دوره الريادي، لأن مهمة الشعر الأساسية هي التغيير والتثوير وتوعية الجماهير، وتحريض الإنسان العربي على أن يكون بمستوى إنسانيته.

أشجار الأثل لن تيبس

لم تـأت الـجماهير الغـفيرة التي غصت بها القاعة والتي احتشـدت كأشـجار غابـات اسـتوائية في الخـارج لسـعاد الصبـاح، وإنمـا جـاءت لسـيدي ومليـكي (الشـعر). جـاءت لتقـدم الـولاء إلى ملـك لـن يزحزحـه أحـد عـن عرشـه. إلى ملـك دائـم لـن يزول، جـاؤوا ليجـددوا البيعة للشـعر الهـادف الصـادق الذي يشـارك النـاس أفراحهـم وآلامهـم، فالشـعر هـو النافـذة التـي نطـل منها على إنسـانيتنا وحريتنـا، ونـرى مـن خلالهـا وجـه المعـذبين على الأرض.

إن الشـعر هـو جـزء مـن خارطـة الإنسـان النفسـية، جـزء مـن ابتسـامته، وجـزء مـن دموعـه.. وجـزء مـن فـرح العـالم ومـن الدرامـا البشريـة..

والشـعر في العـالم الثالـث، هـو جـزء مـن حركـة النضـال التـي تقودهـا الشـعوب لتتحـرر مـن قيودهـا ومسـتعمريها.. وتخلفهـا.

جاء الكويتيون والكويتيات المقيمون والمقيمات ليستمعوا للشعر الذي لا يمكن أن يكون وردة من ورق.. لا لون لها ولا رائحة.. فالشعر هو رائحة الإنسان عندما تتفتح عاطفته.. ورائحته عندما يحترق.. ورائحته عندما يعشق.. ورائحته عندما يغضب.. جاؤوا لأنهم واثقون بأنه في هذا الزمن العربي الذي لا يوجد وصف له.. يأتي دور الشعر ليعيد إلى النفس العربية أصالتها، ويعيد للأمة العربية مصداقيتها.. ويعيد إلى الإنسان العربي إيمانه بأن الشمس لا تنطفئ.. وأشجار الأثل لن تيبس.

قلبي معك

يا صديقي، على حدود العنفوان:

أيها الحصان المستحم بالبرق والعاصفة، قلبي معك..

أيها الواقف كالوردة على مدخل الشريان قلبي معك..

أيها الحامل في صدرك مفاتيح الأنهار، والشجر، وعناوين الوطن..

أيها المكتظ بأشجار البطولة والعنفوان.

أيها الثابت على الخط الفاصل بين الخير والشر.. يا صديقي..

لا توجد لغة في العالم تستوعب بطولاتكم..

لقد اخترقتم جدار اللغة، وانتصرتم على الحروف الأبجدية

قلبي معك..

يا صديقي البطل..

يا من يخبئ في جيبه خرائط مستقبلنا،

وطفولة أطفالنا، ورايات حريتنا.. وطعم انتصارنا..

قلبي معك..

رجل.. احتلّ مساحة الكون

أنت بعيد حتى الوجع..
وأنا أحبك حتى الوجع..
افتتح أول شريان لأدخل
فإنني متعبة حتى الوجع..

***

يا سيدي العالم
أصبحت استحيي منك، إذ قلت أحبك..
فهذا تعبير صغير جداً..
على رجل احتل مساحة الكون..
واحتلني..

***

في الغربة أصبحت متأكدة أنك نقطة ارتكاز العالم..
وأن الكرة الأرضية من دونك..
تصبح سديماً لا نظام له.

***

التصق بي أكثر فالعالم غابة كراهية،
وأنا الوحيدة على هذا الكوكب التي تحبك..
أريد العودة إلى مطار حنانك..

فالسفر خارج ذراعيك مستحيل..

مستحيل..

مستحيل..

***

أحبك..

ولا أستأذنك.. ولا أستشيرك..

ولا أطلب من أي سلطة تأشيرة دخول إليك..

فأنت البلاد التي ولدت فيها..

وأريد أن أقيم فيها..

فهل تقبلني لاجئة سياسية إلى صدرك؟

***

عندما أحببتك..

تكهرب العالم..

فهل تعرف مصدراً للطاقة

أكبر من حناني؟

أنت حبيبي..

لا تتركني..

اشربْ دمعي مثل النخل

اشربْ حزني مثل النخل

كسِّرْ.. بعثرْ دمِّر.. خرِّبْ

أنت غريب في نزواتك

مثل الطفل

أنت حبيبي

استراحة الخميس *

(16)

- هكذا خرجت من القاهرة.. وهكذا عدتُ إليها..
- الدكتور غليونجي الذي فعل ما لم يفعله الصليب الأحمر..
- الطفولة رأس مالنا الباقي.. فإما نربح الجائزة أو تحترق الغابة..
- مشكلات السياسة عابرة.. أما الطفولة فرأس مال الوطن..
- هل نقلت لنا أوروبا ثلوجها العاطفية؟!

*-القبس 16 / 4 / 1990

لم أكن أتصور أن أبدأ بالحزن.. ولكن الحزن رفيق طفولتي وصباي، أبى إلا أن يترك حدثاً عميقاً موشوماً على ذاكرتي، وهو وجع الفجيعة، وجع فقدان ابني البكر في الثاني والعشرين من يونيو (حزيران) 1973، والذي مازلت أحس به يستيقظ في جسدي حتى اليوم كأنه طعنة خنجر

لا يستطيع الإنسان رد القدر..

كان مبارك في جنيف مع أبيه، وقد عادا إلى القاهرة يوم الأربعاء لحضور حفل زفاف لبنى كريمة الرئيس الراحل أنور السادات، لم يكن مبارك سعيداً بالعودة، فقد كلّمني ليلتها يطلب مني البقاء في جنيف.. ولكن قوة خفية كانت وراء تصميم "أبي مبارك" لأن يصحبه معه.

حضرنا حفل الزفاف يوم الخميس، ورغم أن السعادة كانت تحيط بي، فمبارك ناجح ومعافى ويفوقني طولاً، وأنا اجتزت امتحان البكالوريوس بتفوّق، وكنّا نستعد لقضاء إجازة الصيف في أوروبا، لكنْ هناك شيء ما كان يجثم على قلبي.. وشعرت بذروة الانقباض خلال الحفل عندما غنى عبد الحليم حافظ أغنيته المشهورة (**موعود معاي بالعذاب يا قلبي**)، انهمرت دموعي ولم أجد لذلك تفسيراً، وتعجبت الصديقة ماجدة حسين الشافعي التي كانت تجلس بقربي، وسألتني عن سبب هذه الدموع. بلعت دموعي ولم أرد. قد يكون حدس الأم الذي لا يخطئ كما يقولون.

الجمعة يوم من أجمل الأيام، كنا نستعد للسفر، الكل فرح مستبشر إلا أنا، ركبنا الطائرة وغصّة في داخلي ظلت تخنقني، ولا أعرف لها سبباً.

تناولنا طعام الغداء، لعب مبارك مع أخوته، ثم فجأة شعر بضيق في التنفس سببه أزمة ربو بسيط تنتاب الكثير ممن في سنه، طلبت المعونة من المضيفة السويسرية، فأحضرت أنبوبة الأوكسجين، ووضعت له الكمامة، لكن وجه مبارك ازداد احتقاناً، وانقلب لون وجهه إلى اللون الأزرق. اكتشفنا أن الأنبوبة على الطائرة السويسرية كانت خالية، وقد سببت اختناقاً للولد، تراكضوا يُجرون له الإسعافات الأولية، وكانت هذه هي خطيئتهم الثانية، إذ أجروا له عملية التنفس الصناعي وهو جالس على مقعده بدلاً من أن يكون ممداً على الأرض

وعندئذ بدأ يرتعش كحمامة مذبوحة بين ذراعي، ولم أكن أعرف ماذا أفعل.. كان صراخي يعلو على هدير محركات الطائرة، ذهبت إلى القبطان توسلت إليه وقبّلت يده ورجوته أن يجد لي مخرجاً أنقذ به حياة ولدي.. ولم يكن بيده اختيار شيء إلا اللجوء إلى مطار أثينا.. وقبل أن تهبط الطائرة كان الله -جلَّ جلاله- قد اختار ابني إلى جواره..

وهكذا خرجت ظهراً من القاهرة على الطائرة السويسرية وقربي يجلس ولدي.. وعدت ليلاً إلى القاهرة وابني محشور بين الحقائب في طائرة أثيوبية.. وأنا أتلمّس كرسيه الفارغ طوال الطريق وعقلي يكاد ينفجر..

الزمان يونيو 1967.. والمكان القاهرة

أجواؤها عابقة برائحة الحرب.. وقد وصلت الحالة إلى ذروة تأزمها بين مصر وإسرائيل، نحن نعيش في القاهرة منذ سنوات، ومبارك مصاب بالحمى القرمزية، ينصحنا الزعيم بمغادرة مصر لأن مبارك لا يتحمل رطوبة المخابئ والبلاد مقبلة على حرب. رفض أبو مبارك السفر وبقي معسكراً معهم، سافرت مع مبارك على آخر طائرة سويسرية غادرت المطار مساء يوم الأحد الرابع من حزيران / يونيو متجهة إلى جنيف.. وصلنا ليلاً إلى فندق إنتركونتيننتال في جنيف، كلمني أبو مبارك صباحاً يبشرني بانتصاراتنا التي رفعت من روحنا المعنوية في الغربة.. رغم كل المشاعر العدائية التي كنا نلحظها على جميع العاملين في الفندق، والمعاملة السيئة التي كانوا يعاملوننا بها.

بعد انتهاء الحرب حاولت أن أقوم بأي عمل أقدّمه لمصر، ولكنني لم أجد مجيباً، وكأن جنيف قد خلت من العرب ومن السفراء. اتصلت بالصليب الأحمر عندما علمت من الهلال الأحمر المصري الذي أنا عضو فيه أن مصر بحاجة إلى أدوية وبطانيات وخيم ومعدات وسيارات إسعاف، لتسهيل إرسالها، لكن الصليب الأحمر رفض رفضاً باتاً طلبي رغم الصبغة الإنسانية التي يدّعيها، وحجته أن تكون المساعدات من دول لا من أفراد أو من جهة لها علاقة بالجسم الطبي.. ولا أنسى ذلك اليوم الذي اهتديت فيه إلى الدكتور غليونجي، وهو دكتور مصري عربي يملك صيدلية في جنيف، وتمكنت بواسطته أن أرسل الأدوية والمعدات.. ولا يزال الدكتور غليونجي صديقي منذ ذلك اليوم.

يوليو في جنيف.. مثقل بالرطوبة

نطالع الصحف في ذلك الشهر اللزج من عام 1968 وهي تكتظ بأخبار مرض الزعيم جمال عبد الناصر، وسفره المفاجئ إلى الاتحاد السوفييتي للعلاج من مرض السرطان في الدماغ، كما ذكرت الأصوات الصهيونية، لم نستطع أن نتمالك أنفسنا، ألغينا عملية استئصال اللوز لمبارك، وسافرت مع أبي مبارك ومبارك على أول طائرة إلى موسكو للاطمئنان على صحة الزعيم

كان في استقبالنا في المطار السفير المصري مراد غالب، لم نمكث في موسكو سافرنا رأساً إلى «سخالطوبا» على متن طائرة بمحركين في جو عاصف راعد أجبر الطائرة على الهبوط الاضطراري في قرية أخرى.. وتوقعنا أن نهايتنا ستكون مكتوبة بهذه الرحلة لما تعرضنا له من مداعبات العواصف والبرق.

ولكننا عندما وصلنا إلى المصح، وجدنا الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يستقبلنا بابتسامته المعهودة، وعيناه الواسعتان تملآن سماء سخالطوبا فرحاً وتملآن نفوسنا أملاً.

نسينا معاناة الرحلة.. وحمدنا الله أن الزعيم بخير.

المكان بيتنا في أم صِدّة.. الزمان مايو 1959

عدت لتوّي من المدرسة، جلست في غرفتي المبردة أنتظر أبي لنتناول الغداء، دخل رحمه الله بابتسامته الطيبة وخطوته الواثقة، وناداني كعادته أول ما يدخل من باب الدار، ركضت لاستقباله، والهواء الحار في بيتنا العربي يلفحني من كل الجهات. لم يطلب الغداء ولكنه طلب مني أن ألحقه إلى غرفته، خفق قلبي خوفاً لأن كل الأخبار والقرارات المهمة لا ترى النور إلا في غرفته، جلست وقد جفّ ريقي، هدّأ من روعي وقال: إنه أسعد يوم في عمر أي أب.

قلت: ماذا؟

قال: جاء من يخطبك منّي.

قلت: من؟

قال: طلب الشيخ عبد الله مبارك يدك مني.. ولكنني لم أعطه كلمة حتى أسألك..

تساقطت الدموع من عيني، وتذكرت أمي وأنا أدخل عليها في شهر رمضان في الغرفة ذاتها قبل عدة شهور، وأنا في طريقي للسلام على بيت عمي الشيخ حمود الجراح، نظَرت إليّ بحب واعتزاز وإعجاب وقالت: «سعاد لا يستاهلك إلا عبد الله المبارك». وقد كان عبد الله مبارك في ذلك الوقت ملء السمع والأبصار، فارساً تتمناه كل فتاة. حكيت لأبي هذه الحادثة.. وقلت له: رحم الله أمي، فلقد صدقت نبوءتها، وأتشرف أنا بالزواج.

الفهرس

عن كاتبةٍ.. مُشتعِلة بالحروف 7

استراحة الخميس (1)..... 11

مجيف 13

ديسمبر وعصافيره الملوّنة..... 14

جيوش الجراد في مضاربنا..... 15

منتهى الحرية..... 17

الساعة الأولى من عمر هذا العام 18

متى يعرف كل العالم الحقيقة؟ 20

وجوه ولغات 21

استراحة الخميس (2)..... 25

حبيبتي امرأة رائعة الجمال 27

انكسار الزمن العربي..... 28

من عيني ابنتي الشيماء تبدأ أفكاري وتنتهي 30

استراحة الخميس (3)..... 33

أين تبدأ حدود وطني.. وأين أنتهي أنا؟ 53

إنه يوم عرس للعلم..... 37

الإنسان حيوان ناطق..... 41

استراحة الخميس (4)..... 43

المستشفى الأميري والثأر القديم..... 45

البدوي.. و"الفقع"..... 48

الجواز العربي الأحمر 50

استراحة الخميس (5)..... 53

أنا سعاد.. فقط..... 55

لحضارة القشور..... 58
أشباح أثينا تطاردني..... 60
أخت نفسي تسألني..... 62
هل تذكرين؟..... 64
أنا.. وابنتي..... 67
موعد الاجتماع الذي طار بين مطار جنيف ومطار الكويت..... 68

استراحة الخميس (6)..... 71
عندما يتغير الإنسان.. يتغير وجه الدول..... 73
شيخة مع وقف التنفيذ..... 75
الحلم المستحيل..... 76
كتابة على دفاتر الثلج..... 77
منظمة الإخوة الأعداء..... 79
سكاكين الفرحة والجهل التي قتلت طفلاً..... 81

استراحة الخميس (7)..... 83
بقعة الزيت تلبس طاقية الإخفاء..... 85
إسرائيل تهجم على آذاننا..... 87
صوتي المسجون في العلب المعدنية..... 88

استراحة الخميس (8)..... 91
بساتين الخير التي أكلناها..... 94
خذوا الكلوكوز وأعيدوا إليّ حبر الكتابة..... 96
نقوش على جدار المنفى..... 98
مواجهة الجماهير..... 101

استراحة الخميس (9)..... 103
لبنان الحزين.. يبحث عن عبد المعين..... 105
مقالة نقدية.. أم حرب طبقية..... 107
قُتِل الإنسان ما أكفره..... 112

الحرية عندنا.. والحرية عندهم..... 114

استراحة الخميس (10)..... 117

عام مر على كربلاء بيروت..... 119

كلمات عرفان للجندي المجهول..... 120

الاستنفار العام في البيوت..... 123

جمعية مكافحة النفاق.. 124

لا تصالح..... 125

استراحة الخميس (11)..... 127

ذكرى عبد الناصر الخضراء.. في هذه الأيام السوداء..... 129

حقائب الفرح الكاذبة 135

حكاية يابانية..... 137

استراحة الخميس (12)..... 139

الكتابة هذه المهمة المستحيلة..... 141

ألا تشمّون رائحة الحريق؟..... 143

يا هلا.. بالكتاب..... 145

الجنين 147

ومن الفصاحة.. ما قتل..... 149

ونحن أيضاً.. أولاد ناس..... 150

استراحة الخميس (13)..... 153

مبارك الكبير حارساً في مستشفى الولادة 155

مئة عام.. بانتظار الحصان..... 157

مساوئ التغريد.. في زمن السلطان عبد الحميد..... 160

الأميركاني.. يسرق مياه الليطاني 163

وعدتُك.. فعِدْني..... 166

استراحة الخميس (14)..... 167
حدود الشوك.. وحدود الحرير..... 169
حكاية صغيرة.. عن مطعم صغير..... 171
حكاية عن النمل والسكر..... 173
تأشيرة دخول..... 176
ديمقراطية..... 177
هوية..... 177
استراحة الخميس (15)..... 179
نولد.. ونموت على ضفاف الجرح..... 181
علمتني الصحراء مراودة المستحيل..... 182
أين نهرب من عناوينا وذكرياتنا؟..... 183
كويتية حتى العظم..... 184
خير الكلام.. ما قل ودل..... 185
أشجار الأثل لن تيبس..... 186
قلبي معك..... 187
رجل.. احتلّ مساحة الكون..... 188
استراحة الخميس (16)..... 191
الزمان يونيو 1967.. والمكان القاهرة..... 195
يوليو في جنيف.. مثقل بالرطوبة..... 196
المكان بيتنا في أم صِدّة.. الزمان مايو 1959..... 197

صدر للدكتورة سعاد محمد الصباح

	الإصدارات الشعرية
1	من عمري 1964
2	أمنيــة 1971
3	إليك يا ولدي 1982
4	فتافيت امرأة 1985
5	في البدء كانت الأنثى 1988
6	حوار الورد والبنادق 1989
7	برقيات عاجلة إلى وطني 1990
8	آخر السيوف 1992
9	قصائد حب 1992
10	امرأة بلا سواحل 1994
11	خذني إلى حدود الشمس 1997
12	القصيدة أنثى والأنثى قصيدة 1999
13	والورود تعرف الغضب 2005
14	رسائل من الزمن الجميل 2006
15	الشعر والنثر.. لك وحدك 2016
16	قراءة في كف الوطن 2017
17	وللعصافير أظافر تكتب الشعر 2017
18	أنت وأنا والليل 2023

	في مجالات السياسة والتاريخ والاقتصاد والعلوم الاجتماعية
1	التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة 1983
2	أضواء على الاقتصاد الكويتي 1985
3	المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة 1986
4	الأوبك: التجربة السابقة والتوقعات المستقبلية 1986
5	السوق النفطي الجديد: السعودية تسترد زمام المبادرة 1986
6	أزمة الموارد في الوطن العربي 1989
7	هل تسمحون لي أن أحب وطني 1990
8	صقر الخليج: عبدالله مبارك الصباح 1995
9	حقوق الإنسان في العالم المعاصر 1995
10	حقوق الإنسان: بين النظرية والتطبيق 1997
11	ماذا تعرف عن حقوق الإنسان؟ 1997
12	أوراق في قضايا الكويت (1, 2) 2006
13	أوراق في الاقتصاد الخليجي 2006
14	أوراق في السياسة الدولية 2006
15	أوراق في الاقتصاد السياسي الدولي (1, 2) 2006
16	أوراق في السياسة النفطية (1, 2) 2006
17	مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة 2007
18	كلمات خارج حدود الزمن 2008
19	تاريخ الشيخ عبدالله مبارك الصباح في صور 2015
20	الكويت في عهد عبدالله بن صباح الصباح 2018
21	مرت السنوات وما زالت كما هي الكلمات 2018
22	وتبقى شجرة الصداقة مثمرة 2019
23	الكويت في عهد محمد بن صباح الصباح 2019
24	الكويت في عهدي جابر بن عبدالله الصباح وصباح بن جابر الصباح 2021
25	تأسيس الكويت في عهدي صباح الأول وعبدالله الأول 2022

لم أكن أعرف أن كلَّ هذه النيران مُخبّأة في الورق.. ولم أكن أعرف أن الكلمات يمكن أن تخزِّن حرائقَها بين السطور.. بانتظار لحظة الاندلاع الكبرى التي يراجع فيها الكاتب تاريخه، فيُذهله هولُ الهموم التي كتب عنها، وحجم القضايا التي أُثْقِل بها قلبه.. وكمّية الدموع التي سكبها، ومدى الصراخ الذي أعلنه..

كم من مرّة تمزّق أشلاء، وكم من مرّة أعلن انهيار معاني الإنسانية في عالم مُزدحِم بالكلام عن الإنسانية..!

وكم من مرة رسم الورد في عالم تتكدس فيه ألواح الفحم الحجري وبقايا الرصاص الملطّخ بدم الأبرياء..!

لكنّها الكلمة، قدَرُنا الذي سرنا إليه وسار إلينا.

دار سعاد الصباح
للثقافة والإبداع